مراجعة /محمد الشرعبي

رقم الإيداع (11) لدى لوزارة تعز

مقدمة

تعد القاصة والروائية الناشئة (حياتي) قاصة تحاول أن تتلمس خطاها في عالم الأدب الروائي اليمني تحديدًا المحفوف بالعوائق والصـــعوبات في مجتمع طافح بالذكورية، ويعد كل ما تقوم به المرأة من أقوال او أفعال مراقبًا، ويدخل في دائرة العيب، ولا يجوز البوح به.

(حياتي) الروائية حاولت جاهدة أن تسمع صوت المرأة اليمنية المقهورة والمحرومة من التعليم، وخصوصًا في بعض مناطق الريف اليمني، وتحديدًا من قبل بعض الأبناء المتخلفين والمتعجرفين ... وتعد باكورة إنتاجها الروائي الأول (فوق الإرادة) تجســيدًا حيًّا وتصـــويرًا واقعيًا لما تعانيه المرأة اليمنية إما من قبل والدها أو أشـــقائها أو زوجها...وفوق الإرادة تتحدث عن أب متغطرس وظالم في إحدى قرى اليمن، يرفض أن تلتحق ابنته بالمدرســـة خوفًا من عيون الناس التي ستشـاهدها في الذهاب والإياب.. وكيف أن هذه الفتاة لم تستسلم لفكر والدها المتحجر، بل ظل طموحها هو الوقود المحرك الذي يدفعها، ويحرك ما بداخلها َمن تحد وعزيمة إصـــرار؛ لتحقق حلمها، ولتقف في وجه أبيها، ولتترك له الدار والقرية بأكملها، فتســافر إلى المدينة كي تلتحق بالتعليم عن طريق مدرسة محو الأمية بدعم وتشجيع من عمها، لتكمل مراحل التعليم الأساسي والثانوي ثم الجامعي، ولم يقف الحلم هنا عند هذا الحد، بل واصلت تعليمها العالي، لتحصل على الماجستير والدكتوراه بدعم ومساندة من شخص آخر وهو زوجها الذي تزوجت به دون رضاها، لكنها أحبته فيما بعد عندما وجدت فيه الزوج والســند في رحلة كفاحها المليئة بالحفر والمطبات والأشــواك، لتتفرغ بعدها للعمل الحقوقي، وخاصــة كل ما يتعلق بحقوق المرأة والطفل، حتى أن الأمر وصل لتشويه سمعتها، فكان طلاقها من زوجها هي الضربة القاسية والمؤلمة التي دفعتها بطلة الرواية من عمرها وحياتها وسمعتها وراحة بالها. ولكن ذلك لم يزيدها الا إصرارًا لمواصلة رسـالتها، وتتعرض لمحاولة اغتيال، ويقتل شـقيقها من قبل عصـابة إجرامية ظلامية، تحاول أن تغتال كل شـــيء جميل في هذا الوطن، وتكتم أنفاس حياة كل إنســـان -ذكرًا كان أم أنثى- يريد الوصـول إلى سلم النجاح والشـهرة، لكن في الأخير لا يصـح الا الصـحيح؛ فالعصـابة الإجرامية مصيرها ينتهي إلى السجن، وبطلة روايتنا تواصل تسلق سلم النجاح بكل ثبات وعزيمة قوية ليتم تكريمها في الكثير من المحافل بجوائز وشهادات تقدير.

رواية (فوق الإرادة) تعلم المرأة والرجل على حد ســـواء، أن الإرادة ســـلاح قوي لمن يريد الوصول إلى قمة النجاح وعدم الخنوع والاستسلام..

سالم المجيدي *

11/10/2022

إهداء

الإهداء والشكر بما حوى بين دفتيه وسطوره المبسطة التي تمازجت بين حروفه أجل معاني الوفاء ويقظة الضمير. أهديه لوطني الحبيب، وإنسانه الحر الكريم.. وأهديه لأولادي دررري ونبض قلبي.. وأهديه لأستاذي سالم المجيدي لما أولاني من رعاية وتشجيع، فكان الأب الروحي للجزء هذا من نتاج عملي.

شكر وامتنان

إن كان هناك من أشكره بعد ربي فهو الأستاذ عبد الله السياغي.. فقد كان بحقٍ نعم الأخ والسند والعون، فإن كتبت فيه فلن يوفي وقفته معي.. خالص شكري وامتناني له، وكذلك للأستاذ عاصم هزاع لوقفته الأخوية الأصيلة.

طوق الإرادة

(الجزء الثاني)

الدكتورة: أيام

غلبتك يا دكتورة

كان لا يزال بابها، دخلت عليه غرفته، فرفعت عنه الغطاء قائلة له ببشاشة:

هيا راسل، انهض، سنتأخر الاثنين معًا إن ياخرت عن عملك.

فتح عينيه، ثم مد يديه بكسل قائلا: مدي يديك إلي، وساعديني على النهوض.

مدت إليه يديها مبتسمة إلا أنها فوجئت بشدها إليه لتقع بجانبه جالسة، وفي الحال تعرفت على خدعته، وقد لامس صدرها كتفه، واتكا يضحك ضحكة خفيفة قائلا: غلبتك يا دكتورة.

ابتسمت وهي تحاول شد شعيرات في ذقنه قائلة: بالمقالب؟! بالمقالبً والمزاح الثقيل؟!

سحب يدها إليه ليجعلها على صدره، ثم قال لها هامسًا:

في كل شيء أغلبك يا دكتورة.

دنت منه مشبكة أصابعها في أصابعه قائلة: لكنك في أمر واحد لم ولن تغلبني فيه يا بابا؛ لهذا تستغله في مقالبك المتكررة ومزاحك معي من حين إلى آخر.

تساءل مازحًا:

ما هو يا دكتورة؟

ـ حبي لك

ـ أي حب؟!

يعود إلى وضعه ممتدًا يراقبها في حالها.

تقول غاضبة محتجة مازحة:

يقول أي حب ؟!

الرجل يتنكر لي!

ـ بهمسة عابثة:

أي حب يا امرأة؟

أبا ذلك الرجل الذي أحبك من أعماق قلبه، وجاء إليك حاملاً كل الحب، وكنت أنت مِن يرفضينه وتعرضين عنه.

صمت قليلاً ثم قال: أتنكرين ذلك ؟!

ـ اتكأت على كتفه منتشية تقول:

كان ذلك مني قبلا.. لكن شعوري تبدل بعد ذلك، فصرت أسيرة حبك. غلبتني، يم أرعمتني حبي صرت وقلتي بس يديك.

ـ إذن، كان حتى لك عن سبق قناعة، وكان حبك لي بعد ذلك إرغاما؟!

ـ لقد أرعمتني حقا، ولا أعرف كيف صار ذلك وأبا من كنتً لا أطيق رؤيتك؟!

ـ مازحا: والان.. تطيقس رؤيتي؟

ـ يهمس برقة:

أموت فيك، وأرى أنك قد أصبحت قدري في الحياة!

ضمها إليه بحنان غامر قائلاً:

ـ أنت الحياة.

تذكرا ما كانا فيه قبلاً، وفي الحال بهضت بدلال قائلة له:

راسل

هيا ابهض حبيبي.

يعاود الاستلقاء على فراشه بانية مادًا يديه قائلاً: فلتساعديني -إذن- مرة أخرى.

ـ مبتسمة: "لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين".

ـ إذن، لن أبهض.

- أفٍ يا راسل .. سنتأخر عن العمل.

- لا أريد عمل.

- لكني ملزمة بعملي.

- بنبرة جافة: إذن، فلتذهبي، ولتيركيني وشأني.

يجلس بجانبه، ثم تدنو من وجهه هامسة برقة:

- لا، لن أيركك وحيداً.

- اذهبي إلى عملك، وايركيني بي حالي.

- ياخذ كفه بي يديها قائله: ليس عملي باغلى منكَ.

– ليس باغلى مني، لكنك ملزمة به، أليس كذلك يا سيدة الاعمال؟! ألم يكن بالنسبة لك واجبا مقدسا؟!

– لا؛ بل أنت أقدس واجباتي كلها، وأنت من أفجر باليرامي به.

جلس إزاءها بعد أن دبّ سحر كلامها في نفسه كما يدب الشفاء في جسد العليل، طوقها بيديه قائلا:

أعرف ذلك جيدا.. اذهبي إلى عملك، ولاجل عينيك الجميلتين سأبهض للتو، هيا، سأعديني لابهض في الحال.

– بحذر مدت إليه يدها مبتسمة: لكن بلا مزاح أو مقالب.

ـ تلقف يديها مبتسمًا: لا يجابي.

مرت ساعة من الوقت، انهيا من تناول وجبة الإفطار معًا، بعض مصلحًا هندامه استعدادًا للخروج، حمل حقيبته وأوراقه، ثم قال:

ـ هل ذهب فائق إلى المدرسة؟

– نعم، في الصباح باكرًا، أتظنه كسلان مثلك؟! قالت ذلك مازحة والبسمة تعلو محياها.

– أظنه نشيطًا مثلك.

ـ الحمد لله!

نظر إليها بإعجاب عندما كانت تصلح غطاء رأسها ولثامها الذي يرسله على وجهها يارة، ثم

يرفعه يارة أخرى باظرة في ساعيها، وهمس في أذنها قائلاً:

ـ فاتنة باللثام وساحرة بدونه.

– هذا ما يراه.

ـ ومن سيراه غيري، سأحرمه الحياة.

ـ بابتسامة مازحة: يا رجل!

ـ هيا بنا؛ لإوصلك الجامعة.

– سأنتظر سيارتي، فعزم لن يتأخر كثيرا، ولا تنس -أيضاً- أبي منتظرة أم أريج؛ لإسلمها البيت.

– ستتأخرس كثيرا عن المحاصرة الإولى.

ـ هزت رأسها معاتبة: الان سأتأخر؟! حسنا، لا تحمل همّ، اذهب إلى عملك حالا فذاك كل ما أريده منك. قالت له ذلك بابتسامة ساحرة.

قبلها، ثم خطا نحو الباب قائلا: سأعود قبيل العصر- تقريبا، إن تأخرت كثيرا فلا تنتظريني للغداء.

ـ لا، سأنتظرك، حذار أن تتأخر.

ـ أمرك.

خرج من مبرله ووجد أم أريج أمامه، فقالت له:

ـ عفوا أبا فائق.

- أهلاً أم أريج، أيام بانتظارك.

تدخل أم أريج المبرل فتلتقي بالدكتورة أيام، فتبتدرها قائله:

السلام عليك يا دكتورة صباح الجبر يا أم فائق.

ردت علها باحســـن تحية، فقطع عبها ما كان تود قوله بعد ذلك رنين هاتفها، نظرت في الهاتف فكان عزم يذكرها أنه بانتظارها في السيارة، ثم تدخل الهاتف في حقيبتها قائله:

- عذرا يا أم أريج، يستعجلني عزم.

- وبانشراح صدر يجيبها: تفضلي، تفضلي يا دكتورة.

ـــــ لا تنسى راسل؛ سيأتي قبيل العصر كي نتناول وجبة الغداء معًا، بعد فراغك من عمل البيت جهزي كل ما أحتاجه لطبخ الاصناف التي أطبخها كالعادة، سأتأخر قليلا، فالمحاضرات كثيرة هذا اليوم؛ لذا لن أذهب اليوم إلى المؤسسة.

- لا تحملي همًا يا دكتورة، فأنا سأطبخ الاكلات التي يحبيها، ويفضلها أبو فائق.

- لا تشقي على نفسك يا أريجتنا، يكفي ما تعديه له وتطبخيه فوجبتنا واحدة.

- الله يبدي بالخير قلبيكما، اذهبي يا ابنتي، ولا تحملي همًا، اذهبي إلى الجامعة، قولي آخر محاضرة، وتفقدي المؤسسة.

ـ بابتسامة: شكرا يا أم أريح، وليكن كما يريدس.

الفصل الثاني

الطرح النابض

انتظرت أم أريح حتى التأم شملها بالدكتورة أيام على طاولة المطبخ، وفي أثناء وضع اللمسات الأخيرة لوجبة الغداء قالت الدكتورة:

ـ أم فائق، كنت أريد أن أسألك صباح اليوم إلا أنني أرجأت ذلك إلى حين رجوعك.

ـ خيرا.

- هذه المؤسسة التي تسموها "الطروح أو الطرد" لا أدري! ولكن...

ـ مؤسسة الطرح يا أريجتنا الغالية.

- ما طبيعة عمل هذه المؤسسة يا دكتورة؟

- هي مؤسسة حقوقية إنسانية مجتمعية؛ تعمل جاهدة بعناصر طوعية في مجال البحوث.

ـ عم تبحث يا دكتورة؟

- تبحث في الاعماق، وتغوص فيه للحصـــول على المفقود.

- لقولك حقوقية، هل تسيرجع الحقوق؟

- يهز رأسها مبتســـمة: نعم، بالادله والبراهين القاطعة تدافع عن الحقوق الفردية والمجتمعية.

- وبالتقصي والتجول أليس كذلك؟!

توافيها بهز رأسها قائله: ويخرج الحقيقة صافية نقية من كل شائبة، ثم تقدمها للجهات المختصة بادليها الدامغة؛ لتكون واضحة للعيان.

- ومن تقصدين بالعيان؟ الناس؟!

- نعم، الناس والجهات المختصة.

ـ ولماذا كل ذلك؟

- دفاعاً عن الحقوق الفردية والمجتمعية.

ـ هل يحدث هذا مع كل الناس؟

- نعم، فلأجل الناس جميعاً أنشأت المؤسسة.

ـ من أنشأها؟

- مجموعة من الزملاء العاملين في مجال الحقوق.

- وماذا عنك يا دكتورة؟ هل أنت أفضلهم جميعاً؟

- أبا عضو مؤسس، وهناك من هو أفضل مني.

- لا يا دكتورة، فبسعة قلبك ورأفتك ستكسر فوقيهم عليك، فالله ينظر إلى القلوب، والناس يميلون لذوي القلوب الرحيمة أيضًا.

حدقت في وجهها بإعجاب، ثم قالت:

- أم أريج، على الرغم من احترازك إلا أن من يسمعك يظنك عالمة لا يشق لك غبار.

- الحياة خير معلم، واعذريني لمقاطعتك، فأخلاقك الرفيعة، وسجاياك العالية أبلغ شاهد على أهليتك لهذا المنصب.

- قعودي على كرسيه ليس لأنني أريده، ولكن لاعتبارات أخرى.

ـــــ أنت يا أم فائق، لا تستبق لنفسك إلا ما يعود خيره لغيرك؛ فأنت من تقهم وتدافعين عنهم، وهذا خلق ذي القلب الواسع المحب غيره وطبعه.

ـ ما هذا الكلام الكبير يا أم أريج؟

- تلك الحقيقة، وما قلته ليس كلامًا كبيرًا، أو رياء مني أو نفاق؛ بل هو ما يراه عيني، وتسمعه أذني، ويقر به قلبي، أنت يا بنيتي ملاك حط رحاله على درب الحياة الهائمة بالكذب والزيف والظلم والقسوة.

ـ ملاك يا أم أريج، عاتبيها مبتسمة.

- نعم .. نعم، ملاك بطهره ونقاء سريرته، وإلا ما كانت أفكارك خيرة، وتوجهاتك وأهدافك

كذلك، والدنيا مليئة بالسرور، ومؤسستك هذه خير شاهد على ما قلته فيك، ومن يفكر فيما تفكرس به هذه الأيام؟!

في الليل بينما كانت أيام جالسة على كنبة ثنائية منشغلة بما في يديها من كتب وأوراق، إذ رن تلفونها، سحبته ليرى من المتصل فإذا هو أخيها ليالي، يهللت أساريرها: ألو حبيبتي كيف أنت؟

- أهلا حبيبتي أيام كيف أنت؟ وكيف فائق؟ مشتاقة لكما كثيرا.

-لا؛ بل أنا مشتاقة لكم جميعا، التدريس والعمل قيداني فلم أجد وقتا لزيارة القرية؛

لرؤية أمي وأبي، حيي النقود أرسلها إليهما بواسطة البريد؛ لعدم تمكني من زيارتهما.

- أمي تسأل عنك وتذكرك بخير، أما أبي فهو لا يزال على حاله، لا يقول شيئًا حسنًا.

ـــ ليالي حبيبتي، وماذا عنك هل تقولين لي قولًا حسنًا؟

- تقولين لي هذا ويامرينتي بـ؟ فأنت ما اكتوى قلبك النار.

- لم حكمت عليّ بالقسوة هذه؟! ألم أعش معك آلامك وجروحك؟ وما دفعني للخلاص منه إلا ماعانيناه معًا، لقد أصريت على رفع ذلك العناء؛ ليقتدي بي من كن على شاكلتنا.

ـــــ نعم، عايشنا البؤس والاضطهاد معًا إلا أنك يجاوزها بجدارة.

- قدر الله لي ذلك، وإلا ما كنت يجاوزت الذي يجاوزته كما تقول، أم لديك اعتراض على مشيئة الله يا حبيبتي؟!

تبهدت ليالي، فبادرها أمام:

- ما بك يا أختي؟ هل يحتاجس مني شيئًا؟

- لا يا حبيبتي، حتى المبلغ الذي أرسلت لي به لم آخذ منه شيئًا؟

ـ لماذا؟

ـــــ الحمد لله، لقد راسلني ساهل، وقال: إن الله قد وفقه بعمل جديد في المدينة، ويريد أن يستأجر لنا بيتًا هناك.

- تعيرصها قائله: تســتأجرس بيتًا وأختك في المدينة؟!، والياقوتة طويله عريضة؟!

- رفضــتِ ذلك منه؛ لأني لا أثق فيه ولا في عمله هذا؛ يمكث ســنواتٍ بلا عمل، وعندما يجد عملًا سرعان ما يطير به خياله، فيحدثني عن نقلتي إلى المدينة، كيف يمكن هذا؟

ـ لعله ..

- تقاطعها بشدة: لا أريد لعلٍ ولعلّ، ولا أريد منه شيئًا.

- جربيه يا أختي.

- كل يجاريني خابت فيه منذ سنوات.

- يا أختي ..

-اسكتي يا أيام، اسكتي من هذه السيرة.

- ليالي ..

- بحدة: أيام أبا لا أريد يرك أمي وأي، انهينا من هـذا الكلام .. كيف هو فـائق حبيتي؟ مشتاقة له.

رصحت أيام لكلامها المفعم بالالم والحيبة، ثم بعد قليل من الصـمت والتأهبَ بجيبها: فائق بجير يا ليالي، ولا يسـأل إلا عنك، ولطالما

سألتي متى سنذهب إلى القرية؟ أبا مشتاق لجالتي ليالتي.

- بصوت مبحوح: متى ستأتون إلينا؟ أبا مشتاقة لكما كثيرا.

- أحست أيام بما فيها، فقالت: ما بك يا ليالتي؟

- لا شيء.

- بل هناك أشياء، وليس شيئا واحدا.

صمتت ليالتي، فبادرتها قائلة: أرجوك لا تحزني ولا تبكي، غدا الخميس، إن شاء الله بعد آخر محاصرة، سنأتي أبا وعزم وفائق إليكم.

انتظرت أيام راسل، لكن عقارب الساعة بدت كما لو أنها بطيئة، اتصلت به، فلم يجبها،

حدثت نفسها أن بجاهله لم يكن سوى مزحة من مزاحه، وأنه بلا شك في الطريق إليها.

توجهت إلى سريرها لتنام غير أن قلبها لم يهم بتابا إلى أن شعرت بانفتاح باب البيت، وسمعت وقع أقدام آتية نحوها، تظاهرت بالنوم العميق وهي مستلقية على جنبها، دخل علمها فرأى مبها ذلك مبتسمًا، وضع حقيبة أوراقه على كنبة كانت بالقرب منه، ثم خلع منه أثقاله مستبدلا إياها بثياب خفيفة. استلقى بجانبها على السرير، ثم انتظر في هدوء حتى مل هدوؤه، فقال:

- أعرف أن أيام الغالية لا تنام وأبا خارج البيت، فكيف بامت ويركتبي؟ بالتأكيد أبها متناومة فقط.

دبا مبها يهمس في أذنها: أيام، من سمح لك بالنوم؟!

أيام حبيبتي، هيا ابهجتي، أريد عشاء، فأنا لم آكل شيئا منذ الظهيرة، بهضت متثاقله متظاهرة بالنوم، قائله: أهلا راسل، لم لم يرد علي؟ ثم أسندت ظهرها إلى أعلى السرير، فقال راسل: كنت مشغولا.

ـــ ردت عليه بنبرة عاتبة: مشغول! لا تقدر على الرد بكلمة واحدة تطمئني؟!

- اقيرب مبها، وأخذ كفها بين يديه، وقال بهدوء: مزحة جميله مني لك يا حبيبتي.

ـ مزحة، لكنها تحرق الاعصاب.

- أنت معتادة مني ذلك.

ـــــ اعتديها منك، فنعم، لكن إذا قدر الله وحدث بيء مكروه، فلا يجعلني موهومة بمزاحك، أرجوك لا تعيدها مرة أخرى.

ـ نظر إليها بحنان: حسنًا، من عيوني.

ـ عدني بذلك.

- قبل يدها محدقًا في عينيها: آسف جدًا لذلك يا أيام الجميلة، أعدك ألا أكرر ذلك مرة أخرى.

- ابتسمت رضًا بقوله، ثم قالت: هل تعشيت أم لا؟

ـ لا، ولا أريد أن أشعر بالامتلاء والشبع.

بينما كانت يهم بالنهوض من السرير قالت: لا بد أن ياكل شيئًا ولو بسيطًا.

ـ لا أريد، تعالي لنجلس معًا.

جلست بجانبه متكئة على الوسادة، فقالت: راسل، لقد تذكرت، أريد أن أسالك.

ـ ماذا هناك؟

ـ ما عمل أخيك ساهل؟ هذا العمل الذي يدر عليه مالا وفيرا حتى أنه يريد أن يستأجر بيتًا للياليّ هنا في المدينة.

ـ لا أعلم بذلك، فكل ما أعرفه أنه مع رفاقه، لكن سأسأله غدًا عندما ألتقي به.

- هل يجده يوميًا؟ غريب أمرك! كيف لا تعرف أين يعمل، وما عمله.

- لم يخطر ببالي سؤاله، فكل ما أعرف عنه أنه يتبع رفاقه، ويعمل معهم رافضًا العمل معي.

- هو ذاك ساهل لم يغيره زمان ولا مكان، آه آه، الله في عونك يا أختي. كلمتي قبل ساعتين، وعرفت من كلامها أنها بحبي في جوها أبات وأبات، آه يا أختي آه، آه عليك يا أختي الحبيبة.

ـــــ مازحًا: هل شعرت بألم أختك دون أن يحكي بوجع أجي؟!

—— قاطعته بي ألم: راسل، أبعد مزاحك عني هذا الوقت، فأبا لا أقدر على احتماله، أبا ذكرت أختي، فوالله بحق ليس موجعًا فحسب، بل يقطع القلب، وأنت أعلم بموقعي تمامًا من قضية أختي.

- ما زال مازحًا: وأجل، أليس من حقي أن أتوجع عليه؟!

لكزته في صدره، ثم قعدت توبخه: وهل يتوجع أخوك؟! أرجوك.

شدت بعضًا من شعراته، قائلة: اسكت، ولا تنبس بكلمة.

كان بي من ذلك وهو يحاول أن يضمها، فقالت: وأخوه الآن يتوجع منك أم لا؟ زادت

من شد شعيرات ذقنه الصغير، قائلة: وأنت ما الذي يحسه الان؟ يتوجع أم لا؟

صاح متألمًا، بهمس: آه، إنه يتوجع منك، وأجل يتوجع من أختك.

وفي الحال زادت من شد شعيراته حنقًا من قوله، ولم يستطع تجليص نفسه منها، وارتفعت أناته، وتعالت صيحاته، حتى ندت عيناه دمعًا، فقال: أرجوك، اتركي ذقني.

تركته عندما رأت تلألؤ عينيه بالدمع، فقال معاتبًا: انظري هول الفعل الذي فعلته، ها هي عيناي فضحت قسوتك، لقد كنت أمزح معك فقط.

- أنت تمزح وأنا أمزح أيضًا.

يالم لذلك، واستدار عنها مستلقيا على جنبه قائلا: أريد أن أنام لو سمحت، بامتٍ.

وهمت من طلبه أنه غاضب منها، فتمددت هي الاخرى على جنبها وهي لا يزال على ماهي عليه.

مر قليل من الوقت، وسرعان ما حزنت عليه، اقتربت منه يهمس في أذنه، وياخذ يده في كفها قائلة: حبيبي، ما قصدت إيجاعك.

- توجعيني، يم تقولي ما قصدت ذلك.

- اقتص مني إن كان ذلك يريحك، لكن لا تغير عني وجهك.

سعد بما سمعه، فاستدار نحوها قائلا: حبيبتي، ما أقبل فيك قصاصًا يؤلمك، أما كلامك فهو دائمًا يطرب نفستي، وهو البلسم الذي يسكن أوجاعي منك مهما بلغت.

- شكرا حبيبتي.

صمها إليه قائلا: أحبك.

فقدان عازم

كان الوقت لا يزال باكرا، رن جرس الباب؛ فاستغربت أيام لذلك، من يرى سيأتيها في هذا الوقت؟! هرعت نحو الباب قائلة: من؟

- أبا أم أريح يا دكتورة.

فتحت لها الباب، فدخلت إلا أن سيدة أخرى تساويها في العمر تدخل خلفها بعد أن قالت لها: ادخلي يا رهنة، ثم قالت لإيام: بعد إذنك يا دكتورة.

- مرحبًا، أهلًا وسهلًا بكما، تفضلا بالجلوس.

جلسن معًا مجمعًا علمهن الصمت، رأت أم أريج علامات الدهشة والاستغراب على وجه أيام، فابتدرتها قائلة: معذرة يا أم فائق، نحن نعرف أبا أتيناك في وقت غير مناسب؛ بسبب أن أختي أم عازم لم تنم الليلة، ولم يهدأ لها بال، فولدها مختف منذ يومين، ورفضت البيرطة البحث عنه مكتفية بقولها: القضية منهية إلى أن يستجد فيها جديد، كيف يجوز أن يحدث ذلك يا دكتورة؟! أس البيرطة التي تعمل في

خدمة الناس؟! اختفاء عازم ليس أول اختفاء من المكان نفسه.

أيام: يا خالتي أم عازم من أي مكان اختفى بالضبط؟

أم عازم: من باب المدرسة التي يدرس فيها.

أيام: أي مدرسة؟

أم عازم: مدرسة الغد الباسم التي في وسط المدينة.

أم أريج: في هذه المدرسة يا دكتورة سبق أن اختفى شابان قبل ابنها، وما قالته السيرطة في ان رهنة قالوه في قضيتهما، وها نحن قد جئناك يا دكتورة كي تعينينا في البحث عنه.

أم عازم باكية: أنصفيني يا ولدي ينصفك الله، فقد علمت أنك صاحبة مؤسسة تعمل باحثة لاجل الناس المغلوبين أمثالنا، فالامر هذا الكل يتعمد بجاهله.

رقت أيام لما سمعته، فجلست بجانب الام يربت على كتفها قائلة: لا يجافى، ولا يحزن، سنعمل ما يقدرنا الله عليه، وثقي في الله وحده، ألك صورة له؟

- نعم يا دكتورة، ها هي صورته، ثم تقبلها وتنفجر باكية.

أخذت أيام الصورة، نظرت إليها، فدمعت عيناها لبكاء الام.

قالت أم أريج وهي تربت على كتفها: يكفيك يا أختي ما بكيتيه، وإن شاء الله ابنك سيعود لك عاجلاً غير آجل.

يهز رأسها جازعة: لا، لا أظنه راجع إلى هذه المرة، فقد ذهب إلى الطريق الذي ذهب إليه غيره، ولم يعودوا.

أيام: يا أم عازم، لا تقولي هذا، هوني على نفسك، إن شاء الله سيرجع إليك في القريب العاجل.

ازدادت الأم في بكائها، فعادت أيام يمسح كتفها، ثم تقبل رأسها قائلة: لا تقطعي الامل في الله، اصبري وصاري، إن شاء الله سيعود سالماً.

أيام لإم أريج: هل لديها تلفون لنتواصل بها؟

أم أريج: لا.

أيام: إذن، فلننتظر يومين أو ثلاثة أيام، ثم نذهب معًا إلى المؤسسة؛ كي يأخذوا منها بعض المعلومات.

في المؤسسة بعد مرور يومين، كانت الدكتورة أيام يجلس على مكتبها، ويجلس خلفها مساعديها أحلام وأمواج وكيله أعمالها ومساعديها أيضًا، وعلى كنبة ثنائية أخرى يجلس حايم وجلال موظفا المؤسسة لشؤون التحقيقات والرصد.

تقول أحلام: يا دكتورة، إن إدارة المدرسة رفضت دخول موظفي المؤسسة بحجة أن

سجلها خالٍ من كل شبهة، قائلين: لم تشوهون سمعتها بتحقيقات لا طائل من ورائها؟!

حاتم: أخبرناهم أننا لسنا محققين، وأننا لم نكن سوى زائرين فقط، رفضوا ذلك طالبين منا تصريحًا خاصًا من وزارة حقوق الإنسان مرفقًا بسبب قاطع يلزم المدرسة فتح بابها لذلك.

أيام: ألم تكف عضويتكما في المؤسسة؟

أحلام: رفضوا ذلك بتعنت ووقاحة.

جلال: تصاريح المؤسسة وعضويتنا فيها لم تقنعهم، فهم يريدون منا أكثر من ذلك.

أيام: لماذا مدرسيهم يريدون لها تصريحًا كهذا؟

جلال: يريدون من الوزير تصريحًا خطيًا ملزمًا.

أيام: إنهم بذلك يصنعون الشبهات حول مدرسيهم.

أحلام: هذه المدرسة نصف نفقاتها حكومية، ويدفع أغنياء المنطقة النصف الاخر.

جلال: يدفعون نصف النفقات، وربما يدبروها.

أحلام: هذا الظاهر.

أيام: إذن، فلنبدأ بالعمل.

أحلام: عمل التحقيق أم الغوص في أعماق الحبر؟

أيام: الاثنين معًا، وأيا من سيدخل المدرسة.

أحلام: كيف يمكنك ذلك وإدارة المدرسة رافضة مسألة التحقيق إلا برخصة خاصة؟

أيام: إن شاء الله سآتي بها من الوزارة، وسأكون أيا من يحقق معهم، سأفند مزاعمهم، وسأكشفهم أمام الناس على حقيقتهم، وأبين للناس جميعًا أنهم يضعون العراقيل ليمنعوا التحقيق في أمور مهمة، وأيا من الاثنين سأعد هذه القضية قضيتي.

جلال: دعينا نحن نقوم بالمهمة يا دكتورة، وأنت عليك التصريح.

أيام: بل أيا من سيقوم بذلك.

أحلام : يكفيك يا دكتورة أيام تعبك في الجامعة.

أيام: لا يا أحلام، أم عازم أتتني إلى بيتي وقلبها يتفطر على ولدها، واستغاثت بي في القضية بعدما خاب رجاؤها في قسم الشرطة، فلا بد أن تكون هذه القضية من مهامي شخصيًا، فضلًا عن تعنيهم وتقليلهم من شأن المؤسسة وبراهيها.

حايم : بأسف أن إدارة شؤون المدارس في الوزارة لم يحرك ساكنًا.

أمواج: لم تصدر أي بيان حول ذلك، وربما أنها لم تعلم بذلك أصلًا؛ لأنها لم تُبلَّغ من إدارة

المدرسة بذلك رسميا، أو كانها تشعر أن الامر لا يعنيها.

جلال: كيف ستبلغ أو تطلب العون في ذلك، وهي من يجبي القضية؟

أحلام: يظهر والله أعلم أن للمدرسة يدا في ذلك.

أيام: لا تطلقوا العنان للظنون، ولكن ضعوا الامور على ما هي عليه، فالمدرسة بريئة حتى تثبت علاقتها بالقضية أو تنفيها بعد التحقيق.

أحلام: هل سنبدأ العمل من الان أم بعد دخولنا المدرسة؟

أيام: من الان سنبدأ عملنا، هيا بنا برسم خطوات سيرّ البحث والتحقيق.

التفتت سائله: أين البقية؟ يريد مناقشة مسار طريقنا وخطوط ايجاهاتنا.

أحلام: أظنهم سيأتون قريبا.

نظرت أيام إلى ساعيها، فقالت: لو انتظرنا سنتأخر كثيرا.

همّ جلال بالوقوف قائلا: أبا سأستعجلهم بالحضور حالا، وسأذهب في أمر مهم يجب أن أقوم به قبّل النقاش، ومن ثم سأعود عاجلاً.

حايم: وأبا سوف أخرج بعد إذنكم دقيقتين أو ثلاثٍ وأعود إليكم أيضًا.

خرجا معًا، وأقفلا الباب خلفهما، وبعد لحظات رفعت أيام لثامها عن وجهها، فرفعن الباقيات كذلك لثامهن.

أحلام: يبدو أننا سنتأخر اليوم كثيرًا عن بيوتنا.

أمواج: سنجد رجالنا حيمًا ينتظروبا مبرعجين، وسيستقبلوننا قائلين: النساء يصلن البيوت قبل الرجال؟!

أيام ضاحكة: أنيس الرجال وهم النساء، أليس كذلك؟

أمواج: نعم يا دكتورة، لو كنت تسمعين الكلام الذي نسمعه منهم كل يوم عند باخرنا.

أحلام مستغربة: يا دكتورة، يبدو أن زوجك المصون لا يضايقك كزواجنا.

أيام: راسل متفهم طبيعة عملك، فضلا عن كونه واسع الصدر أيضا.

أمواج مازحة متبسمة: بل قولي يحبك.

أيام: وأنت ماذا عن زوجك؟

أمواج: بالطبع يحبني، لكن ليس ذلك الحب الذي يعد حبا.

أيام ضاحكة: وهل هناك حب يعد حبا وآخر غير ذلك؟

أمواج: يا دكتورة، أنت لم تفهمي قصدي بالضبط.

تضحك أيام، ثم تقول لها في هدوء وإنسانية: كلا، أيا فهمتك جيدًا، فهمت مقصدك، أنا أبا من الحب فما مضى، لقد كنت عودًا متصلبًا، أرفض كل كلمة أو نقاش في ذلك، حتى ظننت أنني سيدة نفسي، لن أضعف أو أستكين حتى... ثم ضحكت ضحكة خفيفة قائلة: حتى أصابتني رصاصة غادرة.

أحلام: ممن؟

أيام: من الزوج المصون الذي امتدحته.

ضحكن معًا، فقالت أمواج: إذن جربت الحب يا دكتورة؟ كلميني عنه.

أيام: وأنت جربتيه أيضًا أم لا؟

أمواج: لا أعرفه، ولم أجربه إلا بعد زواجي منه.

أيام: وأبا كذلك.

أمواج: لكنك تتحدثين عنه كما لو كنت عشته قبل الزواج.

أيام: لم أعشه قبل الزواج؛ لأنني كنت أحلم بغير ذلك، وكان كل تفكيري منصبًا في تحقيق أمنيتي المتمثلة في العلم ونيل شهاداتي العلمية

فقط، لقد ألغيت كل الافكار التي كانت تشغلني عن ذلك، أو أن أعيش شعورا آخر.

صمتت قليلا، ثم واصلت حديثها قائلة: الحب يا أهل الحب شجرة مثمرة ما إن أسقيناها التضحية واليراحم وحسن التقدير، وما إن أوليناها الصبر والمداراة على الاخطاء والزلات، بقيت الشجرة يانعة باسقة، وعشنا حبا كالذي يحدثت عنه أمواج، حبا فيه من الرومانسية والغرام ما ليس في حسباننا، أليس هذا المقصود في كلامكن؟

وضعن النساء وجوههن على أكفهن منصتات إليها باهيام بالغ.

أيام مستغربة ما يرى: ماذا جرى؟ أراكن واجمات ووجوهكن في أكفكن.

أمواج مبتسمة: كلامك يا دكتورة.. كلامك يسحر العقول، ويذهب بالنفس بعيداً بعيداً.

أيام: أعجبكن كلامي؟

أحلام: نعم.

أيام: إن كان الامر كذلك وطبقن ما قلته لكن في حياتكن الشخصية وستجدن الحب.

أمواج متبرمة: مستحيل يحدث هذا.

أيام: لماذا مستحيل؟ يحاربوا إن لم يجدوا الحب كما يقول الحديث الشريف.

ذهبت أيام لزيارة أم عازم في بيتها رفقة أم أريج، فقالت لها بعد أن قبلت رأسها: لا يأس كثيرا يا أم عازم فرحمة الله واسعة وقريبة من المحسنين، ثقي أننا لن نتوانى أو نتقاعس بأنية واحدة، سنقوم بالمهمة المنوطة بنا على أكمل وجه، ولو اقتضى منا ذلك أن نعمل ليل نهار حتى نصل لابنك، فنثلج بفعلنا صدرك، وصدور كل الأمهات اللواتي فقدن أبناءهن.

البهتان

في الياقوتة تسلم أم عازم للدكتورة أيام زر قميص شاكية: هذا الزر لقميص عازم، وجدته على الكنبة في المبرل الذي أعمل فيه مع أم سعد.

نظرت إليها أيام بصمت وحيرة، ثم أخذته منها متسائلة: من يملك هذا البيت؟

ـــــ أحد الاغنياء المقربين من الحكومة كما قيل.

- هل أنت متأكدة أن هذا الزر كان لقميصه؟

- تسلمها القميص الذي أخرجته من كيس قائلة: نعم، انظري.، وريها بقية الازرار على القميص قائلة: تبقى منها على القميص ثلاثة،

أبا انيرعته منه واستبدلته ر آخر انيرع منه
بي أثناء سيجاره مع أحد زملائه.

تنظر أمام بي أزرار القميص فتقاربها بالزر
الذي بي يدها، فيرى التطابق بيبها فتقول:
نعم.

يم تسلمها قلمًا، فتقول: هذا القلم يا دكتورة
وجدته على الكنبة نفسها أيضًا، إنه لابني،
خرج من البيت وهو بي جيبه.

تفحصته أيام يم قالت: يبدو أنه ماركة عالمية
غالية الثمن.

نعم، إنه كذلك، فهو هدية صديقه حمدي
الذي يعمل بي الجارجية، ربت أم سعد
حمدي مع ابيها الوحيد سعد؛ لذا هو بي العادة

رسل إليها بالهدايا والمال في بعض الاوقات أيضاً، كما أن سعداً صديق أبيها عازم، وسبق أن أهداه هذا القلم بعد إذن أمه كهدية، وفي الحال انفجرت باكية، فجلست أم أريج بجانبها تطبطب عليها.

نكست أيام رأسها ثم زفرت زفرة عميقة، فقالت أم أريج: يا دكتورة، أم سعد أنكرت أبها أهديها القلم قائلة لها: إنك تضعينني في موضع لا أريد أن أكون فيه أبداً.

أيام: ألام سعد أقلام غيره؟ أعتي مثله تماماً.

- بالتأكيد، لديها غيره كثير، فحمدي في العادة يهديها كمية كبيرة من أي بيتزا يرسله لها، لو كان أهداها قلماً واحداً لما أهدتني إياه.

- ابها لديه قلم مثله؟

- أظن ذلك.

بعد صمت، قالت الدكتورة أيام: يا أم عازم، الكنبة التي وجدت عليها القلم والزر أين مكانها في البيت؟ ومتى وجدته بالتحديد؟

- وجديها بعد الحادثة في الصالة الصغرى التي أمام الغرفة الخاصة بالرجل الغني، وبعد أسبوع من غيابي رجعت إلى العمل، وخلال الاسبوع كله لم تنظف الصالة، لأنها من اختصاصي.

متى آخر مرة دخلت الغرفة التي قلت عنها بأنها وحدها من تدخلها؟ ألم تدخلها أيضاً؟

- لا؛ لابي لســـت مكلفـة بتنظيفهـا، فعملتي مقصـورٌ على ما عدا غرفته ومكتبه، فهما فقط من اختصـاص أم سـعد، أما بالنسـبة للطبخ فعلمها يوم الإربعاء، وأبا يوم السـبت بحت إيرادها.

- لماذا عمل الكنس بينكما قسمة والطبخ أيضًا؟

- هو وغيره ممن يترددون على البيت يفضـلون أم سعد، ويثقون بها.

ـ كيف وصلت للعمل في هذا البيت؟

ـ بواسطتها.

ـ هل تعرفين اسمه، ومن بايت عنده؟

ـــــ لا أعرفه و لا أذكر اسمه... النجمتي أو النحمتي .. لا أذكر اسمه، هي من تعرفه جيدًا، وتعرف بعضًا ممن يرورون البيت ويترددون عليه، كلهم كبار مقتدرون، نطبخ لهم أكلهم، ثم نضعه في الثلاجتين، ثم نغادر مبرلهم حالاً.

– أريد رؤية أم سعد لأتكلم معها.

- لن تقدري أن تأخذي منها شيئًا، فعلى الرغم من كونها صديقتي إلا أنها لا تعطي الصحبة حقها، فضلاً عن كونها ماكرة الطباع.

– دليتي علمها فقط.

سعد

في السيارة بجلس الدكتورة أيام، وبجانبها مساعديها أحلام، ومن أمامها عزم وجلال، يجلس جوارهما سعد مستدرا، ثم استدعائه للحوار مؤخرا.

أيام: هل تعلم أن صديقك عازم اختبى منذ أيام؟

طأطأ سعد رأسه بحزن وانكسار، وقال بصوت ضعيف: نعم، أعرف ذلك، وأنا حزين لما جرى، وأشعر بالعجز إزاء ذلك، وأيمى لو أنى أستطيع فعل شيء لاجله.

رأت أيام القلم في جيبه وهي يحاوره، فقالت: أريني هذا القلم؟

انتزعته من جيبه قائلة: إنه قلم أنيق جداً، يبدو أنه ماركة عالمية وغالي الثمن.

- هل اشتريته من هنا؟

ـ لا، إنه هدية.

- يبدو أنك ذو شأن حتى يهدى لك قلماً كهذا، من أهداك إياه؟

ـ لا أحد، إنه هدية خالي لأمي.

- هل خالك غني جداً؟

- لا، خالي ربته جدتي مع خالي سعيد، واليوم أصبح موظفاً كبيراً يعمل في إدارات الدولة.

ـ أهداك قلماً واحداً فقط؟

يعود لانكساره قائلاً: أهدى أمي ثلاثة منه.

ـ لماذا تقول ذلك بي حزن؟

ـــ إن هذا القلم يذكرني بعازم، فقد كان لديه قلم مثله، أهدته أمي لامه بطلب مني؛ معزة لعازم في قلبي، وقبل اختفاء عازم كان القلم في جيبه في أثناء خروجه من الفصل.

ـ أي جيب؟

ـ جيب قميصه.

زفرت أيام زفرات حارة، صمتت قليلاً، ثم قالت: يا للاسف يا سعد، رفضت أمك أن تقول أبداً منْ أهدت أم عازم ذلك القلم.

- حقًا ما تقولينه؟

- نعم، وما للاسف رفضت أن تيهد بذلك رامية بكل أواصر الصداقة والصحبة بينكما عرض الحائط.

- يميم سعد في أسى و حزن: أمتِ؟! سأبيهد أبا سبحصيا أن لعازم قلم مثله، وقبل اختفائه كان في جيبه، وأمتِ بنفسها من أهدته إياه.

- لماذا تبيهد على أمك؟ فربما تغضب عليك.

- وهل لي أن أغضب الله؟! "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" فضلا عن كون واجب الصداقة يحيم علي فعلَ ذلك، وأن أبذل قصارى جهدي حتى يرجع عازم سالمًا غانمًا.

- ربما يمنعك.

- حتى وإن منعتني فإنها لن تحول بيني وضميري وبس وفاتي لصاحتي، فسأقول الذي أعلمه مهما كلفني الامر.

أيام في زيارة أم سعد

سألت أيام أم سعد: ما اسم الرجل الذي تعملين عنده مع أم عازم؟

- السيد البهتي، رجل غني وياجر، له صحبة ومعارف كبير.

- كم يوماً في الاسبوع تعملين عنده؟ وكم أجرا تتقاضين مقابل ذلك؟

- ثلاثة أيام، ويعطينا عبيرس ألف ريال في اليهر مقابل ذلك، ومثلي تتقاضى أم عازم على الرغم من ثقته في أكير.

ـ لماذا؟

ـ كيف؟

- تقولين أنه يثق بك أكير، فكيف يعطيك مثلها؟

ـ ما الذي تعنيه يا دكتورة؟

- من يثق به أكير سيعطيه أكير بلا شك في ذلك.

- يا دكتورة، هذا يحقيق أم غير ذلك؟

- ما بك يا أم سعد، هل أزعجك كلامي؟

ـ نعم، أزعجني كثيرا.

- لماذا؟ كلامي واضح ومعلوم بين كل الناس، من تثق فيه تكرمه، وتبالغ في إكرامه بالعطية والهبات.

ـــــ لم آخذ منه ريالا يريد على ما يأخذه أم عازم، ولا أريد منه زيادة.

ـ لماذا؟

ـ مقتنعة بذلك وراضية.

- يا أم سعد، هل رأيت القلم الذي وجدته أم عازم على الكنبة؟

- تقاطعها بحدة: إنها تتوهم أنني أعطيها قلماً، أنا لم أعطها شـــيئاً، والقلم الذي وجدته غالي الثمن وراق، وهذا النوع من الاقلام لا يملكه أمثالنا، فكيف أعطته إياه؟

نظرت إليها أيام نظرة تفحص وعتاب، قائلة:

ـ يا أم سعد، أنت من أعطيها القلم؟

- لم أهدها شـــيئاً، ولو كنت أملك قلماً مثله لاعطيته ابني.

- لدى ابنك قلم مثله، وأنا متأكدة من ذلك.

- أم ســـعـد متلعثمـة مرتبكـة: ابني؟! ابني كيف؟!

ـ وجدته معه.

- تقاطعها، وما زال الارتباك ظاهرا علمها: إيه .. إيه، لقد ذكرت، البهمق من أعطابي إياه، وأبا من أعطيته ولدي.

- والذي وجدته أم عازم هو للبهمق أيضـا؟ إن كان كذلك فلماذا لم يعط أم عازم مثله؟!

- لقد أعطانيه في اليوم الذي لم يات فيه أم عازم.

- كيف؟ ألم تقولي أنكما تعملان عنده ثلاثة أيام؟

– أبا ثلاثة أيام، وهي يومس فقط.

حدقت نحوها بنظرات موجعة مؤنبة لها: يا أم سعد، لماذا هي يومس فقط؟

- البهمى يحص فى يوم ضـــيوفا ممرس و مهمس جدا؛ لهذا آتى فأطبخ له طبخات يفضـــلها مع ضيوفه.

ـ لماذا تذهبس بمفردك، وتكونس بس الرجال؟

– أبا فى المطبخ، وليس بيبهم سيدتى.

- أعرف ذلك، وأبا لم أقصـــد غيره، لكن كان الإولى بك أن ياخذيها معك.

- رفض البهمى ذلـك، معللاً أن أكير من واحدة يجلب الضوضاء.

- ضـــوضـــاء! امرأتس كتيرتس فى العمر يا أم سعد!

ابرعجت أم سعد من نظرة أيام وكلامها فقاطعيها بحدة:

ـ دكتورة، أرجوك .. يكفي.

- برقة وهدوء: أم سعد، اهدئي، ما قصدت شيئا، ولكن ..

ـ دكتورة، أظن الحوار بيننا انتهى.

- يا أم سعد، وماذا عن الزر الذي وجدته أم عازم على الكنبة، أهو للبهمي أيضا؟

ـ ربما.

- يا أم سعد، الزر من النوع الرديء العادي، والبهمي لا يلبس إلا الغالي والراقي، يا أم

سـعد، الزر هو لقميص عازم، فلا يحاول طمس الحقيقة.

- دكتورة، أرجوك، دعيني وشأني.

- بهدوء: أم سـعد، أنت قبل كل شيء أم، وتعرفين معنى كلمة أم..، أيرضيه في ابنك؟

- في يملص ظاهر: ما الذي أرضاه ولا أرضاه؟

ـ ما جرى في عازم؟

- أتتهمينني؟

ـ معاذ الله! ولكن أذكرك بالذي جرى في الامس، سيتكرر اليوم وغداً، وما عالم ابحث عن الاتي؟

ـ ما الذي تقصديه بكلامك هذا؟

– الذي يتسير على الذي لا يرضى به الله ليس ببعيد أن يكون أول انتقام الله منه، ويكون أول ضحاياه.

أم سعد، أم عازم صديقتك وصاحبتك منذ سنوات طويلة، والعشيرة والمعروف تستوجب منك أن تقبض بجانبها، وتبذل جهدك كي يعود لها ابنها سالماً.

– وهل في يدي شيء؟

– إنك تتكرس أنك من أعطاها القلم.

– تحاول إخفاء قسمات وجهها الفاضح: لم أعطها قلماً.

ـــــ أم سعد، الجليل الصاحب عون على نوائب الدهر، فتذكري يوماً قد ينقلب بك الحال فمن ستجدي يومها؟ ياكدي أنك لن يجدي البهمتو ولا ماله، فهو وما يملك لاهله، أم سعد، تذكري ذلك جيداً، تذكرئ أنك ستكونين وحدكِ، ستكونين عدوة البهمتو الاولى في البداية، من أعان ظالماً سلطه الله عليه.

- أنت تقولين كلاماً خطيراً في البهمتو، وتتجاوزين حدودك.

ـــ البهمتو خطير جداً وإلا ما كان القلم والزر الذي لقميص عازم على الكنبة التي في بيته، أفهمت؟

رميها بنظرة، وهزت رأسها وهي تهم بالنهوض قائلة: أم ســـعد، عازم مفقود إلى الآن، والله أعلم بمصيره، وهذا الاختفاء مريح للزيادة.

– من تعني؟

- أعتقد أن كلامي واضح ومفهوم، فالمدرســـة فقدت ثلاثة من طلابها، والله أعلم كم ســـتفقد غدًا وبعده، وابنك سعد طالب فيها.

- بحدة وهي تميل وجهها عنها: ليس عندي كلام أقوله، وأرجو منك الانصرـــاف، فالزيارة انتهت.

هزت أيام رأسها متأسفة، ثم قالت: اطمئني يا أم سعد، فلن يضيع حق وراؤه مطالب.

الدكتورة أيام في اجتماع مع أعضاء مؤسستها.

جلال: لقد اكتملت تقاريرنا بعد انتهاء مهمات التحقيق المكثف.

أمواج: إذن، فلنستعجل في رفعها إلى الجهات المختصة.

حاتم: لقد أعددت بمساعدة معاذ العدة لرفع تقاريرنا.

أيام: أظن أنه يجب علينا أن نتمهل قليلاً ريثما يستجد جديد.

أحلام: ربما يكون الجديد اختطافاً آخر؟

أيام: بإذن الله لن يكون اختفاء وإنما ظهور أدلة جديدة تقودنا إلى الحقيقة المرجوة.

وبعد ثلاث ليالٍ بينما كانت أيام تجلس على طرف كنبة ثنائية في غرفة المعيشة، كان راسل ممددًا ورأسه في حجرها وهما ينظران إلى شاشة التلفاز، وأخذ كفها ووضعها على صدره مشبكًا أصابعه في أصابعها، في حين كانت كفها الأخرى بين خصلات شعره يحركها، ثم أخذ كفها وقبله قائلًا:

- أمي دعتنا لزيارتها في القرية وقضاء يومين هناك.

أخذت تتلمس ما بين خده وذقنه إلى صدغيه بحنان، ثم قالت:

- حبيبتي، أبا لا أقدر على ذلك، فأنت تعلم أني منشغلة بالجامعة والمؤسسة، وقضية اختفاء الطلاب الثلاثة.

اعذريني، فقد سبق أن اعتذرت لياسين الاسبوع الماضي بعدما وعديها بالزيارة، وبينت لها أن الظروف المستجدة حالت بيننا.

- أبا لا أريد الذهاب، وإنما أمي من يريد منا ذلك، ماذا أقول لها وقد وعديها بتحقيق رغبتها؟

يرك يدها صامتاً، فهمت ما يدور في داخله، بادرت إلى أخذ كفه، ورفعها إلى صدرها قائلة: نسافر في نهاية الاسبوع، ففي نهاية الإسبوع سيكون الدوام قد انتهى.

ـ وماذا عن أعمالك وقضاياك؟

- رفعت كفه بحوها قائلة: ما ذكرته ليس بأغلى منك.

قبلت كفه، وبهض بحوها قليلا باظرا في وجهها، وقال: تفرجي نفسك من أعمالك لاجل...

- تقاطعه بغنج: لاجلك يا راسل سأفرغ جسدي من روحي.

سر بما سمعه، فسحبها إليه، وصمها قائلا: بعيد السير- عنك يا أمام، كما أردت، لن نسافرَ القرية إلا بعدما تبهى كل أعمالك.

- أرجوك، هي يومان ثم نعود، أبا لا أريد أن تغضـــب عليك أمك أو حتى يحمل عليك شيئاً في نفسها.

ـ وأنت؟

– يهز رأسها: ماذا تعني؟

- أعني: أهذا فقط الذي يرجينه من الزيارة؟

ـ وهل لي رجاء غيره؟

صمت، لكنها رفعت ذراعها حول عنقه قائلة:

- أنـت فقط كل رجائي، ومن جعلني ألس ثم أتغاضى، فأمك لم تكن محصر– خير في قضـية أختي وفي زواجك مني أيضاً.

ـ لكنها تحبك.

- وأختي، أليست هي مثلي زوجة ابيها؟ أتظن أنني لا أعرف شيئا؟ اتركنا من هذا الكلام.

- أختك...

-راسل، أعلم أنك تقوم بجانب الحق لا بجانب أمك أو أهلك، وهذا أحد الاسباب الذي جعلني أميل إليك وألس لك، وإلا كنت وأخوك عندي سواء.

ابتسم— قائلا: يهديني يا دكتورة أيام لابي أحبك؟! اليومَ أبا وأجي سواء؟!

صمتت، ثم رفعت يديها عنه، وقد تغير وجهها إلا أنه منعها من ذلك، وشد علمها:

- أمام، تعرفين أني أحبك منذ صغري، نشأت على ذلك وكبرت، وأنت من كنت تصدينني، وتعرضين عني، إلا أن صبري على بلوغ الامل جعلني أتمسك بك أكبر وأكبر، لم أرعو لسلطة علي، أو أسمع لناصح، أو مجرب لحياة وهو يقول لي: زواجك سيكون مهزوزاً، تلعب فيه رياح وأعاصير زواج أخيك باخيها، وبهايته الفشل العاجل، لكننا أثبتنا للدنيا كلها عكس تلك التخرصات.

ثم نظر في عينيها قائلا: أمام، حياتي الجميلة والسعيدة، يا حلم الأمس وحقيقة اليوم.

- بادلته النظرة، ثم همست قائلة: يكفيني ما يشع من عينيك، وهو أبلغ دليل عما في داخلك.

- مازحًا: وسحر كلامك كما تقول.

- مازحة: قديم.

وبينما كانا غارقين في أحاديثهما العاطفية رن جرس الباب، فقالت: يرى من جاء بنا في هذا الوقت؟

- الله أعلم.

ينهض لفتح الباب، وتعتدل هي في جلستها، وما هي إلا لحظات حتى سمعت راسل يقول: تفضلي يا خاله.

وقفت أمام تستقبلها، رأيها، فقالت: أهلاً أم سعد.

- أم سعد بجزع: ابني اختبي يا دكتورة! سعد اختبي!

بعد مرور ثلاثة أيام وصلت أم سعد رفقة أم أريج إلى المؤسسة، فدخلتها باكية مولولة:

– ابني يا دكتورة قتلوه الظلمة.

تقف لها أيام احترامًا، ثم تشير لها بالجلوس قائلة:

ـ اقعدي يا أم سعد، واهدئي.

- أقعد؟! ومن أين لي القدرة على الجلوس هادئة؟!

جلست باكية، ثم قالت: لكن والله لن يضيع حق ابني هدرا، لقد جئتك بما يفضحهم جميعا.

دمعت عيون الحاضرين لحالها، جلست أمام بجانبها، ثم قالت: يا أم سعد، هناك وعيد.

ـ لا، لن أيركهم يسرحون ويمرحون دون رادع، سأخوض الصعاب كلها حتى أبار لابني.

بخرج من كيس كان في يدها قطع اسطوانات (سي دي)، تسلمها للدكتورة قائلة: هذا دليل إدانتهم جميعا، وأبا شاهد عيان على ذلك أيضا.

ـ وما يوجد في هذه الاقراص؟

- فيها تسجيلات فيديو لعملياتهم الوحشية، يسجلون أفعالهم القذرة بالصبية؛ ليستمتعوا بمشاهديها بين الحين والآخر.

صمتت أيام قليلاً، ثم قالت لأحلام: شغلني واحدٌ منها؛ لنتأكد من ذلك أولاً.

انتظر الحضور يراقبون حتى يعرض عليهم ما فيها من صور فاضحة لرجل مع صبي لم تستوي شؤون رأسه بعد، علقت صورة الرجل بمخيلة أيام فقالت: أحلام، دعينا نتأكد من يكون هذا الشخص؟.

أعادت أحلام المشاهد مرارًا، فقالت أيام: أكاد أجزم أن صورة هذا الشخص معروفة لدي.

أحلام: حبى أبا يا دكتورة أكاد أجزم بذلك.

أوقفت أحلام الصورة، فقالت أمواج إن هذا الرجل يعمل وكيلا في إحدى الوزارات.

هزت أيام رأسها قائلة: لقد عرفته، إنه الإرهابي، إنه الإرهابي.

- أم سعد: ماذا بعد؟

أيام: سنعد التقارير المدعمة بالأدلة، ثم نرفعها إلى الجهات المختصة.

ثم تكمل: سأنتظر حتى تعدون التقارير كاملة، وبعد رفعها للجهات المختصة سنرى ما سيكون رد تلك الجهات، وسيحاسبهم القضاء.

ببسمة ساخرة يرد أم سعد: من سيحاكمهم على أفعالهم؟! قولي: هم من سيحاكمون أنفسهم، هذا هراء يا ابنتي، لا تتعبي نفسك، أعيدوا إلى الإسطوابات.

ـ لماذا يا أم سعد؟

ـ أريدها.

- لكننا بحاجة ماسة إليها؛ لإدانتهم وفضحهم على رؤوس الأشهاد.

- يا ابنتي إنهم مسؤولون كبار جداً، ولن تستطيعي أن تطالبهم، أصدقت أنهم سيمثلون أمام القضاء؟! هم الدولة وهم القضاء.

- سيحاكمون، وكلنا أمام القضاء سواسية.

أم سعد ببكاء وخيبة رجاء: لا، لسنا سواسية؛ هم مسؤولون ونحن مواطنون، هم يأمرون ونحن نطيع، هم إذا أخطؤوا لن يعبى عبهم فقط؛ بل سيمنع منعًا باتًا ذكرهم في قائمة المحظيين.

خذي يا دكتورة التسجيلات، ثم اخرجي بها إلى الشارع، إنهم متى علموا بذلك، سيقطعون أنفاسك مباشرة؛ لأنهم مصدر حياتنا، وليس لنا حياة أو عيش بدونهم.

يا دكتورة، هم رجال دولة، ولا شك أنك تعرفين معنى دولة، نحن لا نقف في دولة الشارع الذي ستقطعينه، فهو ملكهم، فكيف ستحملين تسجيلات إدانتهم؟!، سيرتطم المرور في الشارع الذي ستقطعينه يعمل معهم،

أقسام البيروقراطية التي يفترض أن تكون في خدمة الناس ملكهم، وتعمل لخدميهم فقط، فكيف ستتشكس إليهم؟!، المدينة ملكهم، كل ما في المدينة تحت أيديهم، حتى المدرسة التي أمناها على أبنائنا وسيقوا مبها إلى المجهول ملكهم أيضًا، هم كل شيء، ونحن لا شيء، هم يملكون كل شيء، ونحن لا نملك شيئًا.

أيام تبث الامل في نفسها: لا يا أم سعد، لا تقولي هذا؛ بل قولي نحن كل شيء وهم لا شيء، نحن الحق، حق سعد وعازم ومن مضى قبلهما، ولن تذهب تلك الحقوق سدى؛ لأنها حقوق عامة للناس جميعًا، والحق أيًا كان مؤيد من السماء، وما أيدته السماء أيدته الارض، وباركته كذلك؛ لهذا كل الناس بجانب الحق.

—— ستتعبين يا ابنتي، الارض التي قلت عنها أنها لهم، قد زرعوها باشواكهم، وحينما ستؤذيك أشواكهم الجارحة.

- ما بك يا أم سعد؟ قبل قليل كنت أنت ستثأرين، والان أنت من تصديني عنهم؟!

- طريقي غير طريقك يا دكتورة.

نظرت إليها بيم قالت: وكيف ذلك؟

- الايام يا دكتورة أيام ستخبرك أن أم سعد خبيرة ومجربة؛ لهذا سأيرك طرقهم، وسأخوض طريقا غيره؛ طريقا لا يملكونه، ولا يوجدون على رصيفه؛ لانه ملك غيرهم، ولن يخطر على بالهم أنني سأصل إليه.

- وهل صمنت الوصـول إلى هذا الطريق عن طريق القانون؟

ـ بإذن الله.

ـــ بعد هدوء: لا أملك لك يا أم سعد إلا أن أقول: الله يوفقك.

ثم تقول لامواج: أمواج، انسجي الإسطوابات، وأعطها الاصل.

ثم تلتفت نحو أم سـعد قائله: أم سـعد، بريد تسجيل بشهادتك على ما رأيت صوبا وصورة؛ لبيم توثيقها وإرفاقها مع جمله ما جمعناه من أدله وبراهين.

هزت أم سعد رأسها موافقة.

رأي عام وغضب

لم يمر سوى أيام قليلة حتى سمع الناس عبر وسائل الإعلام بالتقارير التي رفعت للجهات الخاصة عن العاملين في مدرسة الغد الباسم، تبع ذلك مظاهرات طلاب المدرسة غضبًا واحتجاجًا، وانضم إلى تلك المظاهرات طلاب مدرسة الزهور، تليها احتجاجات عارمة عبرت عن غضبها، وطالبت الجهات المختصة بسرعة القبض على كل المتورطين، ودعم مطالبهم تلك قول أم سعد عبر التسجيل الذي عرضته بعض القنوات الحقوقية قائلة:

كعادتي توجهت إلى منزل البهتي ظنًا مني أنه يوم من أيام عملي، لكنه كان من ضمن أيام عطلتي، وبينما أنا في المطبخ سمعت فجأة صراخ

من يستغيث ويستنجد، فتحركت بجاه مصدر الصـــوت لارى ماذا يجري هناك، ففوجئت برجل كبير الجسم، طويل القامة، يســـحب صـــبيا، فانشـــغلت بمنظره العملاق عن أمر الصـــبي حيي ارتعدت أوصـــالي، وطار صـــوابي من هول ما رأيت، فقد كان بجانبه رجلا آخر، أظن أنه ســـبق لي أن رأيته قبل ذلك، حيث كان بابي ببعض الصـــبية، ولا أقدر الان على وصف هذا الرجل، لكني مي رأيته سأعرفه.

لم أعد إلى رشدي إلا والصبي يسحب بعنف عند باب الغرفة الخاصـــة بالبهمي، رأيت ذراع الصبي وثوبه الذي كان يرتديه حينئذ، فقد كان قميصـــا أبيض مثل قميص الزي المدرسي، بعد

ذلك تذكرت أن اليوم عطلة بالنسبة لي، فانسحبت هاربة.

وفي يوم آخر كنت في المطبخ وحيدة، وكان ذلك يوم الاربعاء، وهو يوم يحضره ضيوف البهمى المميزون، فسمعت اتصالا لرجل ممتلئ تبدو عليه مهابة يقول لصديقه: تعال، احضر الليلة، ولن تندم يا حزمابي أبدًا، معنا الليلة سهرة، ووكيل المدرسة أحضر لنا ضيوفًا رائعين.

تسللت لارى الضيوف فإذا هم ثلاثة أولاد في عمر الزهور، كانوا برفقة رجل، وكان ذلك الرجل هو الرجل نفسه الذي كان في الحادث الأول.

تكا الجميع يمضغون القات، ويبربون الدخان والحمر، وانتظرت حتى انهى وقت عملي، فكنت أسيرق النظرات إليهم قبل ذلك، وكان بعضهم يميل بحركات غير طبيعية على أصوات الغناء والطرب.

الغضب

طار الخبر سريعًا إلى كل مكان، وكان أسرع من هتافات الطلبة والحقوقيين الغاضبين، هبت العناصر النافذة قائلة: أوقفوا هذه المهزلة.

وهناك من قال: أخرسوا هذا الصوت،

إنه صوت مؤسسة الطرح النابض كما يسمونها.

بحدة وغضب: ولتكن الطرق القابض، فلتسكتوها.

يجيبه آخر: لكنها مؤسسة حقوقية كبيرة ومعروفة عند أبناء الشعب كافة، لها مناصروها ومؤيدوها، تترأسها الدكتورة أيام عبد الباقي محسن الباقي، وهي المؤسس والممون لها أيضًا.

- يحركوا لوقفها بكل الوسائل.

- لكنها يا سيدي صلبة وعنيدة، والناس تؤمن بما تقوله!

- بصـــوت أعنف: مهما كانت قوتها وعنادها، فهي في الاخير امرأة، والمرأة يكسرـــها الرجل، ثم يتساءلُ: من زوجها؟

- رجل أعمال، يملك مع صـــديقه شركة في البلد.

- ابدأ به، عرفه كيفية التعامل معها؛ ليخرسها ويبعدها عن طريقنا، هل لها أبناء؟

- نعم، لديها ابن واحد فقط إلا أن التقرير المفصـــل الذي أمامك يوضح أنها أشـــد حبا لزوجها ووفاءٍ له؛ لوقوفه إلى جانبها أثناء رحلة تعلمها ودراســـها حتى صـــعودها هذه المكانة، فهي يا ســـيدي امرأة مكافحة، جاءت من

صفوف حملة مكافحة ومحو الامية، ووصلت إلى الجامعة حتى نالت درجة الدكتوراه.

- سألتك عنها، فمدحيها.

- إنها الحقيقة التي يجبرني التقرير عنها، ويفصلها.

- بثورة وجنون غاضب: هيا اركبوا الريح، وأتوني بتقريرها.

واصلت المظاهرات الطلابية والحقوقية مسيرها حتى وصلت إلى مبنى التربية والتعليم، ومن ثم إلى مبنى وزارة الداخلية، ومنها إلى النيابة العامة ومبنى وزارة حقوق الإنسان؛ مطالبة بحق عازم والثلاثة الاخرين، وسرعة

القبض على المتورطين في ذلك، ومحاسبة إدارة المدرسة ومحاكمتها.

اتسعت رقعة المظاهرات الشعبية، وانتقلت الاحتجاجات إلى مدن أخرى، وكانت اللافتة الكبرى التي حملها بعض المتظاهرين (كلنا بريد حق عازم .. كلنا عازم)

المساومة

على الرغم من مرور أيام قليلة إلا أن الساحات شهدت احتجاجات وتجمعات كبيرة، وفي ذات يوم عادت أيام إلى بيتها، فوجدت أم أريج تنتظرها بقلق وارتياع، عاجلتها قائلة:

يا دكتورة، أبو فائق عاد إلينا قبل وقت طويل، حالته غير طبيعية تمامًا، وجهه متغير على غير عادته، ضيق النفس، كثير الزفرات.

ارتعدت أيام لما سمعته، وبركت كل ما في يدها على الطاولة القريبة منها، وخلعت عباءتها مسرعة نحو غرفته، رأته مستلقيًا على ظهره فوق السرير، قد خلع ثيابه ولم يبق منها إلا بنطلون صغير (نصف) وربطة عنق مريحية، فقالت: راسل، راسل ما بك حبيبي؟

أزاح كفه التي كانت على وجهه، ونظر إليها بهدوء، ثم أطلق من صدره زفرات حارة.

- ما بك؟ أرجوك.. تكلم، لقد أقلقتني كثيرًا.

زفر مرة أخرى، ثم قال بصوت منخفض: لا بيتء.

أدار وجهه عنها، ثم استلقى على جنبه، فأتته من الخلف، وحضنت أعلى ظهره، ثم دنت بوجهها من خده، وكانت يدها أسفل ذراعه تمسكها في دفء، وهمست في أذنه متوسلة:

راسل، أجبني أرجوك، أبو فائق لا تعذبني أرجوك، أخبرني ولو بكلمة.

زفر زفرة طويلة، ثم أبعدها وهو يهم بالنهوض، أسند ظهره على جانب السرير، اقتربت منه، ثم أخذت كفه بين يديها قائلة: راسل.

مال عنها قائلاً: اتركيني في حالي.

دنت نحوه أكثر، ورفعت إليها وجهه، ولحظته عاتبة: تأسل، تكلم، وقل لي أرجوك، ما أعمك وأتعبك؟

نظر في عينيها فرأى آيات التوسل والعتاب الحانية، وشد على كفها قائلاً: وإن أخبرتك ماذا ستفعلين؟

- لعلك تجد - على الأقل - لضيقك متنفساً، ولتعبك راحة، فضلاً عن إخراجك لما بداخلك، أما عما سأفعله، فسأفعل ما سيقدرني الله على فعله.

- لا تتعبي نفسك.

- كيف لا أتعب نفسي-؟! إن لم أتعب لاجلك فلاجل من سأتعب؟! أرجوك لا تقصيني، ولا تبعديني عن همك، وهمك همي، وتعبك تعبي.

- قبلها على جبهتها قائلا: لا تشغلي نفسك بي.

- لا تقل هذا أرجوك. أرجوك تكلم.

- لقد جردوني من مالي وما أملك.

فزعت متسائلة: ماذا تقول؟! ... من هم؟

- لا أعلم.

- كيف ذلك؟

- لا أعرف، لكني فوجئت عند دخولي المكتب بامرأة يجلس على مقعدي، فسلمتني أوراقاً تثبت أني بعت ما أملكه لبيريكي.

- وماذا قال بيريكك؟ هل وجدته أم لا؟

- نعم، لقد دخل علينا هناك، وقال: إنك بعتني ما يملك، وهذه توقيعاتك، لقد صدق وكانت بالفعل توقيعاتي.

بذهول: هذا هراء. هذا ظلم وسرقة في وضح النهار.

لا تقلق، بالقانون يرجع الحقوق.

ـ بسخرية: أي قانون هذا؟!

بعد أسبوعين استاءت حاله راسل من الضيق والتذمر واليأس؛ فقد امتنعت الجهات ذات الاختصاص عن النظر في قضيته، فتقدم بعدها إلى وزارة العدل التي أرجأت القضية إلى دورها الذي يكون بعد سنوات ربما.

عاد راسل وزوجته إلى البيت بعد رحلة مجهدة إلى الوزارات المختلفة، دخلا مبرلهما واليأس والقنوط يملئا قلب راسل، والضيق والحزن يملئا قلب أيام عليه، توجه إلى الغرفة راميا بثقل جسمه المنهك على السرير، ثم أطبق على وجهه، حزنت هي لذلك، ولمست تطبطب بيديها الحانية عليه قائلة: راسل، كل بيت سيعود -حينما- إلى مكانه الطبيعي، ثق أن الله

لن ينسى حق عبده المسلوب، ولا بد أن يعود له.

ـ رفرة: لا أظن ذلك.

ـ لا تيأس. أرجوك.

بعد يومين عادت أيام من الجامعة فوجدت راسل على الكنبة متكئاً، وكانت رجلاه ممدودتين، إحداهما على الكنبة، بينما تعلو مسند ظهر الكنبة رجله الاخرى، وكان قلقاً ومتوتراً للغاية، فأسرعت أيام نحوه قائلة: راسلْ، كيف أنت حبيبي؟

بهض مندفعاً، دمه يغلي في عروقه، وبصوت مرتفع مبحوح، وهو يضرب على صدره بيده قائلاً: أبا معكر المزاج، مكلوم القلب، أفضل

الموت على الجلوس في البيت كالمرأة مسلوب الإرادة.

عاتبته بلطف: راسل، اهدأ. اهدأ أرجوك. هون على نفسك، ولا تعمل في نفسك هذا. أرجوك حبيبي أرجوك.

لم تستطع أن تسيطر عليه، وازداد في توتره وغضبه، حاولت بهدئته بكل الوسائل، وبصوت باكٍ: راسل، بمالك نفسك. لا تغضب أرجوك.

بعد وقت من مقاومتها اريمي على الكنبة متعبًا مبهكًا، واريمت عليه تضمه، ومال عبها بعد ذلك حتى وقع في حضنها، قالت له بهدوء: لا يا راسل، بهذا تقتل نفسك.

- أريد أن أموت؛ الموت أهون علي من العيش في هذا الحال.

- إن كنت تعني بقولك عملك، فسوف آتيك بعمل آخر، وكل ما أخذ سيعود، لكن لا تفعل في نفسك ما تفعله.

- نظر في وجهها ساخرا: ماذا سأعمل؟ بم ستوظفينني؟

- موظف في المؤسسة؟! أم منظف في الجامعة؟!

-أغلقت فمه بكفها قائلة بحنو واستعطاف: لا يا راسل، مكانك أعلى وأرفع من ذلك، مكانك في المكاتب والشركات، وحقك سيعود حتما، لا عليك سوى الصبر فقط.

ـ كيف سيعود؟

ـ بالقانون يا راسل، سيعود بالقانون.

ـ أي قانون؟!

- اصبر فقط، فالحق لن يضيع مادام هناك من يطالب به، وسنخوض كل الطرق والسبل لأجل ذلك.

بعد مرور ساعتين هدأ راسل، ووضع طهره على مسند الكنبة، وأيام بجانبه، فقالت له:

راسل، ما رأيك لو تتسلى ساعة أو ساعتين في بيركة "الاختبان"؟ للتعرف على العمل فيها،

ياخذ مبها بعض الطرق والإفكار التي تدر بها باهد البيركة.

- أبام، أعرف أنك تحاولس إبعادي عما أبا فيه، وتحاولس إلهائي، هل تظنس أن عملتي في ملابس النساء تسلية لي أو حلاً؟!

لا تحاولي معي في ذلك، فأبا لا أريده.

-مؤقتاً يا حبيبتي فقط، هو عملتي، ألا يريد أن تشغل مكاني؟

ـ لا أريد مكانك أو غيره.

ـ راسل.

- صـــوت مرتفع: أبام، أرجوك اســكتي. -
أخذت يده بين كفيها قائلة: حاصر، اهدأ. لا
تغضب. أرجوك.

الظرف

في اليوم التالي استأذنته للخروج لمدة ساعة، ومن ثم العودة إليه بعد ذلك، وبعد مرور نصف ساعة على خروجها رن جرس البيت، فتوجه نحو الباب، وفوجئ أنه لم يجد أحداً، لكنه وجد ظرفاً ملقى أمامه على الارض مكتوباً عليه: يسّلم إلى راســل، التقطه مستغرباً، وعاد إلى مكانه، وفض الظرف يقرأ الرسالة:

أما أيام فقد تقدمت نحو إدارة الجامعة تطالبها بإجازة عن العمل لمدة عشرين يوماً، فرفض العميد طلبها معللاً: الجامعة على مشارف الاختبارات.

- أرجوكم قدروا ظرفي.

- نحن مقدرون ظرفك دون الحاجة لمعرف ماهيته، لكنك عالمة بالنظم واللوائح الداخلية للجامعة.

- نعم .. نعم أعلم ذلك يا سيادة العميد، لكني سأعمل جاهدة لأكون دائماً عند مستوى ظنك فينا، ولن أخيب ثقتك بي أبداً.

في أثناء خروجها صادفها إحدى زميلاتها، فاستوقفها تسلم عليها، ثم عادت إلى البيت

(الياقوتة)، نظرت هنا وهناك إلا أنها لم ير زوجها، صاحت: راسل، راسل.

لم تسمع جوابا، فلمعت ثيابها الثقيلة، ثم توجهت نحو الغرفة، دخلت عليه فإذا هو ممدد يغطي اللحاف جميع جسمه، فلما سمعت بخبره هدأ روعها، فحمدت الله، ثم خرجت من غرفته.

أما هو فقد كان متناوما، فما أن أحس بخروجها حتى أزاح الغطاء عن وجهه، ثم انقلب على جنبه.

في الصالة ارتمت أمام على كنبة متهدة: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فجأة رن تلفونها، فإذا هي بعمها برجس: أهلاً عمتي برجس.

في اليوم التالي وصلت إلى المؤسسة، فتجمع حولها الاعضاء، أخبرتهم أنها ستتغيب عنهم لمدة أسبوعين أو أكثر لظرف طارئ، وأنها أنابت أحلام بدلاً عنها حتى عوديها.

كلنا عازم

امتلأت الشوارع وأحياؤها وواجهات محلاتها بصورة بريئة للشاب عازم، كل صورة منها أخذت عنواناً مختلفاً: من قتل ابتسامته؟! من خطف البسمة مَن على وجه عازم؟! أس عازم؟! يا اس الملازم، لن يضيع حق عازم،

نطق القلم والزر شـــاهـد، كلنـا عـازم وكلنـا عازمون.

دخلت أم أريج على أم عازم في بيتها يرف لها مطالب الناس ونداءاتهم الميرايدة لاجل عازم، فوجديها ممددة على سريرها كئيبة حزينة متشحة بالسواد، جلست إزاءها في هدوء، ثم قالت: أبيريي يا أم عازم، عازم سيعود؛ كل الناس يجول في الشوارع مطالبة بالكشف عن مصيره.

ـ نعم، تنادي من لا يسمعها.

- هل سمعت هتافات الناس المطالبة بعودة عازم، وهل رأيت صوره يملأ كل مكان، لقد

صـــار مطلب الناس جميعًا، وأصـــبح شـــبحًا يطارد الحكام في كل مكان.

- بصوت حزين يائس: وما عسى أن يفعلوا؟! لقد ذهب عازم إلى غير وجهة.

ـــ لا، لا تقولي هذا يا أم عازم، سيعود عازم، وكل من سبقه سيعود ولو بعد حين.

- هذا كلام نوهم به أنفســـنا، ومن ذهب هذا الطريق لن يعود.

- بل حقيقة، انظري إلى الشـــوارع والجدران، انظري إلى الملصـــقات على كل بيت ومتجر وواجهة.

- هزت رأسها قانطة: لو صرخت كل الناس ستباغيهم صلف الاشباح الجفية التي تكمم أفواههم، وتعمي أعيينهم، وتصم آذانهم، وتكبل أرجلهم.

ـــــ كبر الغاضبون، والإصوات كل يوم في ازدياد.

- لا تعبئي الكبيرة شيئاً مادام هناك أقلية مجرمة قابضة رمام الإمور، باهية آمرة.

- وإن كانوا كذلك، فصوت الناس سيكسر قويهم، وسيهزمهم حيماً، فالحق دائماً هو المنتصر أخيرا.

رفرة وألم: انظري يا أم أريج، انظري، وصاري إلى أن يأتي ذلك اليوم الذي ينطق فيه كل

الناس بمن فهم أم سعد بما أخفته طويلاً، انتظري ذلك اليوم فقط.

- تقاطعها باستبشار: أبيري، نطقت أم سعد، وأقرت بالحقيقة كامله، فسعد اختبى أيضاً.

- لقد أقرت بعد اختفاء ابيها وإلا ما كانت لتنطق بكلمة تبهد بها علمهم، لقد هان علمها عازم، وهنت علمها أبا أيضاً، باعتنا وباعت ضميرها لاجل المال حتى أذاقها الله من الكأس نفسه.

- نسيت أن أخبرك يا أم عازم، أن أم سعد اختفت هي أيضاً.

- نظرت إليها في ذهول قائله: أيعقل ذلك؟! أيعقل أن...

- الله أعلم

- ظنت المسكينة أنها في أمان مما يرتكبونه من ظلم وإجرام في حق الناس، جاهلة بأن الظالم لا أمان له لأحد مهما كن قربه منه، وعلاقته به.

تغير أم غيرة؟

في الصباح خرج راسل من منزله قائلا لزوجته: أنا سأعود بعد ساعة من الآن، إياكِ أن تتركي البيت إلى حين وصولي.

- حاضر.

- سواء أكان خروجك إلى الجامعة أو المؤسسة، فالعمل ممنوع.

ـ باستغراب: حاضر، حاضر.

بعد ساعة عاد راسل إلى البيت، فوجدها جالسة على المكتب منشغله بكتب وأوراق كانت أمامها، اقيرب مبها قائلا بنبرة جافة: ماذا تعملس؟

- بوجه مبرق: كما يرى أعد الاختبارات.

اغتاظ كثيرا لما سمع، فاندفع يمزق ما أمامها من كتب وأوراق قائلا بغضب: قلت لك الجامعة ممنوعة عنّك، ومثلها عملك في المؤسسة وغيره، لقد أوصيتك بذلك عند خروجي من البيت، وها أبا أراك كما لو أن شيئا لم يكن.

- راســـل، اهدأ، واترك الاوراق: قالت ذلك وهي تحاول إمساكه.

ـ لا، لن أتركها.

استمر في تمزيق الاوراق؛ فحزنت لما رأت منه، وجلست تنظر إليه حتى انتهى، فقالت: الان هدأت؟! اريحت بتمزيقهم؟!

- لا، فقد تبقت راحتي المتمثلة باســتقالتك، فاكتبي طلب الاستقالة.

بعد لحظات من طلبه قدمت له طلب استقالتها، قرأها ثم هز رأسه قائلاً: لم كتبتيها؟!

ـ أولست من طلب ذلك؟!

- وإن كنت من طلب ذلك، أتنفذ دون اعتراض؟!

- لأجل رضاك سأنفذ ما تطلبه مني مهما كان.

كان لردها صدى يجلجل في نفسه، مرت الساعات وهو في ضيق، وأخذ يتهرب منها حتى انقضى اليوم، وفي الليل قال لها بينما كانا جالسين على السرير: هل كتبت طلب الاستقالة؟

- كما يريد.

- مقاطعًا: كيف كما أريد؟ غدًا تذهبين إلى الجامعة؛ لتقديم استقالتك، هل فهمت؟

- كما يريد.

غير متوقع

في صحى اليوم التالي دخل عليها فرآها تستعد للخروج، قالت له: راسل، بعد إذنك سوف أذهب إلى باهد في أمر، سأستغرق نصف ساعة لاعود إليك.

- إلى أين ستذهبين؟ ألم أقل لك أنك ممنوعة من الخروج؟!

- سأذهب إلى باهد، لن أتاخر كثيرا.

- إلى باهد أم إلى ..

- تقاطعه بحدة: راسل.

ثم يركته وتوجهت إلى الصالة، تبعها بعد ذلك قائلا: هيا اخلعي عنك ثياب الخروج أو أنك ستذهبين بغير رضاي؟!

نظرت إليه بعيون مفعمة بالحزن والحسرة، متسائلة في نفسها: كيف غير راسل أسلوب تعامله معها، منقلبا عما كان 190 درجة؟!

استبدلت ثيابها فيركته متوجهة نحو حديقة المنزل، جلست على الأرجوحة محدقة فيما حولها محتارة.

وبعد مرور لحظات لم تشعر به إلا وهو يجانبها محتضنا هدوءها بالشدة يارة و باللين والقسوة والعطف والحب يارة أخرى، متغيرات متلاحقة لم تعرف لها سببا، فجأة ضمها إلى

صـدره يتشـمم عرفها، أما عبها فلم تكن أقل منه شـعورا، فقد مالت هي الاخرى على صدره، فقال لها: حبيبتي لا تغضبي مني مهما فعلت بك.

- أغضب منك يا راسل؟! مستحيل يحدث مني ذلك.

ما أن أكملت حديثها حتى بهض عبها غاضبا: أتصدقين كل كلمة أقولها لك؟! أنت غبية، هيا ابهبتي- من مكانك، فأبا لم أعد فاضيا للكلام الطفولي، أنت لم تتجاوزي عندي مفهوم امرأة، أنت امرأة فقط غير صالحة لشيء سوى عمل البيت، أي: خادمة، هيا ابهبتي- فاغسلي قدمي بماء ساخن، هيا ابهبتي.

بهضت من مكانها حزينة، حدقت بي وجهه طويلا، فصرخ بي وجهها: هيا يحركي.

- ردت عليه بهدوء: أس ستغسل قدميك هنا أم بي الداخل؟

- بحدة: بل تعالي به إلى هنا، وأتيبي بثوبك الذي تفضلينه؛ لتجفبي به قدمي.

ـــــ عارضته: راسل، يم صمتت، فقال: هيا عجلي.

وبي الليل بيبا كابا ممددس على السرير، ورأسها على كتفه قال لها وهو يحرك خصلات شعرها: هل أبهيت أمر الاستقاله؟

- غدا سأذهب إلى الجامعة إن شاء الله.

بعد ساعة رن تلفونها، فخرجت به إلى الصالة، انتظرها قليلا، ثم تبعها، ووقف بالقرب منها فسمعها تقول: أريد خمسمائة ألف ريال لننصب محاميا آخر غير محامينا الذي كل يوم هو في شأن.

باهد: كيف ستأخذ منك المال بعد أن منعك من الخروج؟ كيف ستتقبل منه هذا أو ستصبر عليه، وأنت ما اعتدت هذا السجن فضلا عن مكانتك ووظيفتك الحساسة؟! لو استمر الحال على ذلك يا صديقتي، فسيأتي الناس بمائة قول ومائة قصة، وربما يثور الناس على ذلك ظنا منهم أن السلطة تقف وراء ذلك.

- سوف أحاول بقدر الإمكان التلاؤم مع وضعي هذا إلى أن يفرجها الله، راسل طيب القلب وأصيل، ولكن ظروفنا قاهرة هي من خذفت بنا إلى هذا الوضع الذي نعيشه، وسأصبر على هذا؛ لأنه واجب علي تجاه زوجتي.

- إذن حبك له من يحملك على الصبر؟

- نعم، فهو من سبق أن صبر علي طويلا، وتحمل لأجلي كثيرا من المتاعب، وما أفعله ليس إلا جزءا من رد جميله.

اندفع نحوها، فرأته، وأقفلت الهاتف، أخذه بقوة قائلا: سبق أن منعتك.. منعتك من الاتصال، فكيف تتصلين؟

- إيها باهد.

- ليتكن الوزرة باهد.

حاول أن يرمي به إلى الجدار، فحاولت أخذه منه قائلة: أرجوك هات التلفون، راسل، هات التلفون.

أشار به قائلا: سأكسره.

اعترضته حمى هوى به، فاصطدمت حافته برأسها، ذهل الرجل لذلك، فارتمت على الكنبة متألمة: رأسي! رأسي!

هدأت ثورته، فجلس بجانبها ممسكا رأسها يقول: هل أنت بخير؟

نظرت إليه نظرة عتاب موجع، وتلألأت عيناها بالدمع، ثم نهضت من مكانها باركةً إياه في حاله، وأخذ يجمع أجزاء الهاتف، فأعاده إلى ما كان عليه، وأعاد تشغيله، ثم ذهب نحوها، فوجدها على سريرها ممددة على جنبها، رفعه أمام عينيها قائلاً: تفضلي تلفونك.

أخذته في صمت، وجلس بجانبها وهو يسألها: هل أوجعك؟

بادلته النظرات ولم يجبه، فقال لها: إن كنت تحس بألم شديد سنذهب للطبيب حالا.

ـ متضايقة: لا، دعني وشأني، أريد أن أنام فقط.

سكت قليلا كأنه يبحث عن شيء ليقوله، ثم قال مندفعا: إن كنت لا تشعرين بألم فقومي لتعملي لي عشاء ساخنا، هيا انهضي وتذكري أنك لم تكوني سوى امرأة مكانها المطبخ والمطبخ فقط.

نهضت بصمت، فاستوقفها ممسكا بكتفها يتأمل في عينيها، ثم قال: ألا تعلمين بأني قد تعشيت؟

ـ أعلم.

ـــ فلم نهضت إذن؟ أيريدين طبخ عشاء مرة أخرى؟

ـ أنت من يريد ذلك.

ـ لم لا تعيرضس؟

- أبا لا أستطيع رفض بيتء طلبته مبي.

ـ لماذا؟

- بعتاب: ينبغي أن تسـأل نفسـك عن هذا الامر.

لم ينتظر كثيرا حتى تبعها إلى المطبخ، فوجدها تستعد لعمل العجس، سحبها من يدها قائلاً: دعي عنك هذا، هيا تعالي.

سحبها بشدة فتعيرت، وكادت أن تسقط أرضا، لكنه سرعان ما تلقاها يضمها في دفء وحنان حتى أنها شعرت بذلك في حرارة فعله، إلا أنه غير شعورها هذا بقوله غاضبا: لماذا يرمي

بنفسك علي؟! لماذا؟! هل أصابك العمى؟! ألا يرى ما أمامك؟!

دفعها عنه، فأمسكت بالجدار كي لا تسقط أرضًا، فقال لها: هيا واصلي عملك.

يركها وفي ذهبها ألف سؤال حائر: ما الذي غيره؟! يا إلهي! ما الذي يجري هنا، وكيف العمل؟!.

في الصباح بينما كانت في مبنى الجامعة عند العميد، إذ قدمت له استقالتها: أرجوكم.. تقبلوا استقالتي سيادة العميد.

ذهل العميد لما سمع، فقال: ماذا تقولين يا دكتورة؟

ـ طلب الاستقاله أمامك.

ـ ولكن ..

ـ قاطعته: أرجوكِ!

- لوح برأسه معترضاً: لا أستطيع قبولها، فكل إدارة الجامعة وطلبتها اعترضوا على الإجازة فكيف بالاستقاله؟ لا شك أنهم جميعاً سيعترضون، وربما يحدث احتجاجات ومظاهرات.

أنسيت يا دكتورة من أنت؟ ونسيت القضية التي تبنيها مؤسستك أيضا؟! لذا أرجو منك يا دكتورة أن تؤخري قرارك إلى حين، فالاجواء ليست مهيأة بعد.

ـــــ لا أستطيع بإخبارها لأسباب خاصة، لذا آمل أن تتفهم وضعي.

- لا؛ بل أنت من ينبغي لها أن تتفهم الوضع المحتقن في الشارع، فقد أصبحت شخصية عامة، وما ستتعرضين له سيصبح قضية رأي عام، اتركي قرار الاستقالة هذا أو أجليه قليلاً.

ـ لكن...

- يا دكتورة، اتركي قرار الاستقالة إلى ما بعد الاختبارات.

صمتت خجلاً، وفي أثناء خروجها التقت زميلتها الدكتورة معيرة، فاحتضنتها بحرارة، فقالت معيرة: الجامعة كلها أبارت بطلتك.

ـ بك وبأهلها.

ـ ما الذي أبعدك عنا؟

ـ آه آه.. يا أم فايح دعها على الله.

ـ لكن الاختبارات على الأبواب.

ـ لا أظن أني سأواصل العمل معكم.

ـ ماذا؟

ـ لقد قدمت استقالتي اليوم.

- بابرعاج: ماذا تقولين؟! المدكتورة المثالية أيام، رئيسة القسم، والمرأة الحقوقية الاولى التي لم يخلق إلا لتكون امرأة حقوقية مدافعة عن حقوق المجتمع كيف لها أن يرصح اليوم وتصبح

ضعيفة مستقيله؟! هل تدرس يا أيام ماذا تعني كلمة مستقيله؟! لن أقولها فأنت أعلم بها مني، لكني أقول لك: لا، لن يحدث هذا، لا، يا أيام فائق، هذا لن يكون، وصمتت حائرة، ثم عادت تسألها: ولماذا؟

- آه آه، ظروف قاهرة يا أختي ظروف قاهرة.

- ممن؟ تكلمي، أيجبرك ما بك عني وأبا صديقتك؟!

- راسل.

- ما به؟ هل قلب عليك بعد سنوات الدعم والمساندة؟ لقد ظننا أن الكون يمكنه التغير بينما لا يحدث ذلك من راسل.

- لقد تغير يا معيرة كثيرا، ولا أعلم سبب ذلك.

- الرجال كلهم كذلك.

- لا يا معيرة، راسل غيرهم تمامًا.

- حبك فقط من يجعلك تدافعين عنه، وتصنفينه على أنه غير الرجال، وفي النهاية كلهم رجال، وإلا لماذا فعل ذلك؟

- راسل يمر بأزمة وحادثة مؤلمة؛ لهذا يتصرف بعصبية زائدة.

- باستغراب: خير إن شاء الله، ما الذي حصل؟

ـ لقد سحبت منه أمواله وممتلكاته.

ـ كيف حدث ذلك؟

ـ باع ولم يبع.

ـ كيف ذلك؟

ـ عندما هم بدخول مكتب بيركته وجد نفسه فجأة مجرد زائر أو عامل من العمال، فقد قيل له أنت لا تملك شـيئا، وهذه الاوراق تثبت ذلك، وبالفعل أتوا باوراق وتوقيعات تؤكد بيعه لبيريكه.

- ماذا فعل بعد ذلك؟ لم لا يتقدم إلى المحاكم مطالبا بحقه؟ وأنت ماذا فعلت؟؛ فأنت امرأة لك معرفة ودراية بمثل هذه الامور، وتمتلكس مؤسسة حقوقية.

- إنه رفض تدخلك من قريب أو بعيد.

- وماذا عن الإوراق، هل أنت متأكدة أنها قانونية؟

ـ كلها سليمة وقانونية، أتصدقني؟!

- بعد صمت: تعالى معي إلى النيابة العامة حيث يعمل زوجي؛ لنتأكد من صحيها، أو ربما يدلنا على عمل قانوني نسيرد بها بيركتكم.

ـ ولكن ..

- لا تخافي، لن ندخل مبنى النيابة، تعالى معي فقط، لعله يفيدك كثيرا في موضوعك.

في السيارة التي رست بهما أمام بوابة النيابة كان لقاءهما به، فقال لهن: اذهبن الان، وسأعمل ما قدرني الله عليه.

ـ هذا كل ما تقدر عليه يا أبا فايع؟

- هذا المتاح أمامي الان، لكن فيما بعد سأبحث في الامر، وسأخبركم بما يجب عليكم فعله.

أيام: يبدو أن قول النيابة من قول التوقيعات القانونية.

أسمعت قوله " هذا المتاح لي"، أي أن المتاح الان هذا، هيا بنا يا صديقتي.

وصـــلت أيام إلى البيت، فارتمت على كنبة متعبة متبرمة، وبعد لحظات كان أمامها زوجها يقول لها بحدة: أين كنت يا سيدة يا دكتورة؟

نظرت إليه بفتور قائلة: كنت في الجامعة، ألم تطلب مني إيصال الاستقالة؟! فقد أوصلتها.

- وأين ذهبت بعدها؟

نظرت إليه بتعجب، ولم تجبه.

سحبها من يدها حتى أوقفها، فبهرته بقوة: يدي! حتى أفلتت من قبضته.

قال لها بغضب: أتذهبين النيابة بغير إذني؟!

نظرت إليه ذاهلة، ثم اســتجمعت حنكيها وصــلابتها قائلة: وأنت تتبع خطواتي؟! كنت

يراقبني؟! إن كنت كذلك فكيف وصلت قبلي؟! أم أنك سلطت على رقابة توصلك الإخبار قبل حضوري؟!

- لا يراوغني، ولا تتلاعب بي، من رآك أخبرني بذلك.

- هذا الذي رآني يعمل بأجر أم متطوع؟ ولمن يعمل؟ لك أو لغيرك؟ يا رأسل، أتدفع رقيب بعدي؟! ألا تثق بي؟!

- أبا زوجك ولي عليك حقوق.

- راسل، أفق من سباتك، لقد ضاع حقك أمام عينيك، وجئت الان باحثاً عن حقوق عندي!

اطمئن فأبا مقرة بها، وملبية أوامرك، اطمئن على قلك مصـــون، وواجباتي نحوك أؤديها كامله بتفان غير محدود، ومحبة أيضاً.

- أي محبة وتفان تقصـدس وأنت تقولس ذلك متبجحة؟!

– هذا ما يراه أنت.

– وما الذي يريده أنت يا هايم.

- ما أراه، وما أؤمن به محبتك فقط، كنت وما زلت، وما سأقدم عليه يصب في مصلحتك، وليس بشيء آخر.

- بغضـــب: لم يتبق إلا أنـت في الدنيا من يبحث عن مصلحتي، ويعمل لإجلي.

- نعم، وليس هنـاك غيري من أحـد يبحـث عن ذلك.

- اصمتي، إياك ثم إياك والإقدام على عمل من هذا القبيل، فأبا أحذرك يا بنت عبد الباقي.

ـــــ يحذرني؟! ممن يحذرني؟! ما سـأقوم به خطوات مبيرـــوعة وقانونية، وأبا لن أســكت أبدا، وسوف أعمل وأعمل مهما كلفني الامر.

ـ لطمها قائلا: اسكتي.

زاغ نظرها، وطار صـوابها، وجمدت أوصـالها إلا من كف يتحســس أير اللطمة، وشــفتين

يرتعد وجلا، فعادت مآقيها بالدموع وهي تنظر إليه بصدمة ووجع، هزت رأسها في أسى قائلة بصوت ميهدج: تصبر بيّ يا راسل؟! تصبر بيّ؟!

مهما صربت وصربت فسأبقى وفية لك طالما كنت معي وفيا، حتى تعود إلى عهدك الذي افتخرت به في كل مجلس وزمان.

أبا لا أقول لك ذلك خوفًا أو قلقًا، وإنما حيًا خالط عظامي، وهز وجداني وأسر قلبي.

ثم يركته في حاله متجهة نحو الغرفة، فناديي بعد ذلك على كنبة منفعلًا طابقًا يده على كفه.

دخل عليها الغرفة فوجدها على جنب ممددة على السرير، يدها اليمنى تحت رأسها، بينما يدها

الاخرى ممدودة أمامها، صعد إلى السر خلفها، ومال إليها واضعًا وجهه على أذنها وعنقها، يستنشق عرفها قائلا: أيام،.. يم يشبك أصابعه في أصابعها، ويواصل قائلا: أيام يا حلم الامس و حقيقة اليوم، أنت أغلى وأحلى حقيقة يا عمري كله.

- اركبي الان أرجوك.

- أيام.

- بصوت مرتفع، قلت لك: اركبي في حالك.

ـــــ بوعيد: أيام، لا تظني أني سأصالحك أو أطلب رضاك، لكني سأؤكد لك وعيدي إن أغضبتني مرة أخرى فسيكون العقاب موجعًا وموجعًا جدًا.

في المطبخ بينما كانت أمام تجهز وجبة الغداء إذ دخل عليها ابنها، فوجدها أمام الطاوله، وقف أمامها قائلا: هل أنتظرك يا أمي كثيرا؟ نظرت إليه شـــاردّة، أعاد عليها ســـؤاله، فقالت: لا يا حبيبي، انتظر قليلا فقط، ســـوف أجهز لك غداءك حالا.

وفي أثناء انشـــغالها رأى فائق خد أمه محمرا، نظر إليه متفحصا، فتأكد من أثر الاصابع، ثم قال: أمي، ما بال خدك محمرا؟ من ضربك؟

- قالت له محاولة مداراته: لا لا يا فائق، إنها أثر يدي، فقد وضـــعت خدي عليها عندما كنت أنام ـــة.

- لكن أثرها يا أمي شديد الوضوح، تبدو كأنها ضربة يد قوية.

ـ لا يا حبيبتي، إنها أير يدي.

- رأى الابن تغير وجه أمه، فقال: أمي، هل صربك أبي؟

فوجئت بقوله، فقالت له بعد صمت: الغداء جاهز يا فائق، فلا تكثر الكلام.

- أمي، يبدو أنك لن تجيبيني.

- ابني أبوك لا يضربني، ولن يضربني، فهو ليس همجيًا أو متوحشًا.

دخل عليهما أبوه، وقد سمع كلامهما، فوقف والغضب يتطاير منه قائلاً: نعم، لقد ضربتها، وسأضرب أيضًا.

بهض فائق من مكانه، فقال لامه: أتسمعينه؟! يريد صبري وأنت من قلت بإنه لم يصبر بك.

اشتد غضب راسل فاندفع قائلا: بِهِتِ أنت.

هم بصبريه، فصاح فائق مذعورا يلوذ بامه التي تلقته مدافعة عنه بقولها: راســل، أفزعتُه حرام عليك.

بينما كان يحاول انيراعه مبها صرب بيده هنا وهناك، والام تقاومه متشبثة بابيها.

سمع شامل صراجهم، فجاء من الصاله مسرعا يتساءل: ما الذي حصل؟

رأى ما رأى فأسرع يمسك راسل قائلا: اهدأ، اهدأ يا أجي، إنه صغير ولا يحتاج منك كل هذه الثورة والغضب.

انفجر فائق باكيا، فضمته أمه بين ضلعها قائلة: حبيبي، لا تخف، فأبوك يختبر شجاعتك فقط، وعمزت له على يقنعه فما قالته، لكنه صرخ عاليا، وكذئب أراد خطفه من يدها مهددا: سأضربك، وأكسر عظامك.

اعترضته أيام قائلة: راسل، كفاك جنون، وقف راسل فأسرع فائق إلى حضن خاله باكيا مستغيثا: خالي، إنه يريد ضربي كما ضرب أمي.

تغير وجه شـامل، فوقف له، بينما لجأ فائق إلى حضـن أمه التي فوجئت بذلك، فقال شـامل بغضب: أحقًا ما تقوله يا فائق؟!

فقال: نعم يا خالي، وأير الصبـــب باد على وجهها.

وقعت عين شـامل على أير الصبـبة في وجه أخته، فتيقن من صـــدق قوله، بينما كانت أمام يحاول إخفاءها، وأن ما قاله فائق غير صحيح.

اقترب شامل منه متسائلا بحدة: أتصبر بها؟! أتصبر بها أمام ابيها يا رجل الأعمال، يا متمدن؟

راســـل متحديًا: وما عســـاك أن تفعل؟ لقد صبر بها في أثناء ما كانت تريد صبري.

تعال، فاندفع نحوه شـــامل، وكاد أن يشـــتبكا لولا تدخل أيام التي أسرعت للفصـــل بينهما صارخة: كفاكما.

سحبت إليها أخاها، وطلبت منه الخروج، شامل أجي، من أجلي، اخرج الان من أجلي حبيبتي.

انصـــاع شـــامل لطلبها، أما راســـل فقال: في بيتي، ويريد مضاربتي؟ هيا اخرج يا سافل.

عاد إليه شامل، فأمسكت به أخته تقبله على يده وكتفه متوســـليه: لا تلتفت إليه، اتركه في شأنه أرجوك، شامل من أجلي أرجوك.

نظر شـــامل إلى أخته، ثم نظر إلى صهره متحديا: من أجل أيام فقط، وأريد أن أذكرك

أن هـذا البيـت هو بيـت أختي، وأحـذرك، وأقسم- بالله إن مسـست شـعرة من رأسها فلا تلوم إلا نفسـك. يمسكت أخته بطرف قميصه تشـده إليها متوسـله، لكنه نظر إلى راسـل متوعداً، بينما كان راسل يطلق ضحكات رنانة.

اندفعت أيام تصـيح بحرقة يجنبها العبرات: شامل اخرج الان، أرجوك اخرج.

مسـكت بيديه تشـيعه: اخرج الان أرجوك، يخرج فراسل في مكانه: هيا اخرج.

أيام بصـوت مرتفع: راسـل يكفي، فائق هيا لغرفتك.

خرج الولد خائفاً يجري، فارتمت على المقعد تسكب دموعها بحُرقة.

لم يمر سوى ساعتين على سكون البيت وصمته حتى قطع ذلك رنين تلفونها:

ـ أهلا... أحلام.

ردت أحلام: دكتورة، ا لحقي المؤســـسة، فقد داهمتنا عناصر عســكرية، عبثت بمحتويات المؤســـسة، وأخذت معها ما يريد من أوراق وغير ذلك بحجة أنهم مأمورون بذلك.

- دون تصريح أو أي إشـــعار؟! بأي حق يدخلون المؤسسة؟

– لقد سلموا تصريحاً من النيابة.

- هـل نص التصريح على المصـــادرة أم التفتيش؟

- الاثنين معاً.

ـ سآتيك حالاً، مسافة الطريق فقط.

ـ ولكن ..

قطعت أيام الاتصال، فاتصلت باخيها عزم تطالبه بسرعة الوصول إليها، ثم نهضت مستعجلة تبحث عن راسل في البيت فلم تجده، وتوجهت نحو الحديقة فوجدته هناك.

- راسل، سوف أخرج ساعة من الوقت، ثم أعود إليك.

- إلى أين؟

ـ إلى المؤسسة.

ـ هب من مجلسه باكيا: قلنا العمل ممنوع.

ـــــ متوسلا: راسل، أرجوك، هي ساعة فقط وسأرجع فورا؛ فالمؤسسة تهب بطرق كيدية، وأساليب ملتوية، أريد متابعة ذلك بنفسي.

ـــ راسل ببرود مقصود: ولماذا تودس الذهاب إليها؟

- لقد اقتحميها عناصر منتحلة صفة قانونية، وحملت معها ما يريده.

- وأنت يريدس الذهاب لتعيدي المنهوب؟

ـ راسل، ساعة واحدة وأعود إليك.

- ما الذي ستفعلينه في المؤسسة وأنت من تركت العمل فيها؟

- يركت العمل فيها للعاملين، لكنني مؤسسها، والقائمة عليها، والمدافعة عنها، فأنا المؤسسة أمام الناس، ولا بد أن أكون هناك الان.

- ساخرا: مؤسسها والاب الروحي، أليس كذلك؟

- راسل، ليس وقت السخرية الان.

- بحدة: أنام أيركي المؤسسة وشأنها.

- راسل، دعني أذهب أولا، ثم بعد ذلك سنتناقش في الامر.

- لن يخرجني من هنا حتى تعيديني بتفكيك المؤسسة وإلغائها، أو قطع صلتك بها.

- بحرقة: راسل، كفاك استفزازاً وتصغيراً لشأني، ما تفعله الان لن يصبر المؤسسة فقط، بل يصبر علاقتنا.

ـــــ ألست من قلت أن العمل ليس بأغلى مني؟! إذن فلتيركني العمل.

- نعم قلت ذلك، وما زلت أقوله، لقد يركت كل شيء من أجلك، بل جعلته فداء قدميك، فأنت أغلى ما لدي.

- والان لماذا تغيرت؟

- لم أتغير، ولكن سير المؤسسة وعملها إنساني حقوقي، ورساليها إنسانية بحتة، وعملها جزء مما سيرت نفسي له، ومبدئي في الحياة أيضاً، هذا

المبدأ الذي نذرت نفسي لاجله، وأنت من كنت معيناً لي في ذلك كله، فما الذي غيرك؟!

- وأبا ليس مبدئك؟!

- أنت تعرف كل ذلك بالنسبة لي، لكن لا أدري ما الذي غير رأيك في المؤسسة وعملها؟!

- بغضب: تتلاعبس بعقلي؟ تظنس أبي لا أفهم ألاعيبك؟!

ـ راسل، كفاك تكذيبًا لي وتصغيرًا.

ـ لن تذهبي..

هزت رأسها قائلة: لا داعي للحوار معك ولا جدوى منه، لقد خيبت رجائي فيك، لكن على أي حال لن أخرج من البيت، والمؤسسة لها رب يحميها، ومن مكاني في البيت سأدافع عنها دون أن أقصر في واجبي نحوها، ولا في واجباتي الأخرى نحوك، وأظنك فهمت ما أعنيه، لن أغير أبدًا من مبادئي، ولن أتنازل عنها جميعًا، سواء أكانت المؤسسة أو أشياء

أخرى كثيرة قطعها على نفسي، وسأنجزها جميعاً مهما كلفني ذلك.

لن تموت الافعال مادامت الهمم تستوطن النفوس، وإنْ تقطعت كل العروق في جسدي سيبقى عرق واحد ينبض بالحياة.

نظرت إليه بعتب ثم تركته متوجهة نحو غرفتها، أخذت تلفونها تتصل بأختها:

عزم لا يأتي، لقد أرجأت الذهاب إلى وقت آخر.

ثم اتصلت بأحلام: أحلام اعملي ما يلزم إلى أن آتيك في أقرب فرصة، أظنك تتفهمين ظرفي ووضعي الآن.

اتصلت بحايم وجلال يامرهما بما يلزمهما عمله، ثم اتصلت بوزيرة حقوق الإنسان لتضعها أمام الصورة.

في صحى اليوم التالي دخل راسل المبرل، فتلقته أنام متوسلة:

- راســـل، توجه إلى الحديقة، أرجوك عندي ضيوف.

ـ أجابها بنبرة خشنة: من هم؟

ـ أحلام وأمواج وبيبرى.

هز رأسه، فيرجته مرة أخرى فقال: لا يجافي ضيوفك ضيوفي.

لم تستغرب ما قاله، لكنها تبسمت مرياحة من قوله، وبعد أن ودعهن قال لها بنبرة جافة: إياك أن تدخلهن البيت مرة أخرى، اكتفت ببسمة، فصمت محتارا.

في اليوم التالي ارتدت أمام ثياب الخروج، ثم قالت: راسل أريد الخروج.

- إلى أس؟ المؤسسة؟

- إلى الوزرة؛ إنني على موعد معها في الوزارة.

- صمت قليلا، ثم قال: لا .. لا لن تذهبي.

ـ راسل أرجوك، إن اللقاء مهم جداً.

- أمام، لن يجرجى، مجلوســك في البيت مهم جداً.

- راسـل، ما تفعله بى يجرب علاقتنا أرجوك .. دعنى أخرج.

– لن يجرجى، قلت لن يجرجى.

- بحدة وغضب: راسل، تفهم وضعى ومكانتى، والامر فى غاية الاهمية والحساسية؛ فهو يختص بشؤون عملى وعلاقاتى.

راسل، من تنتظرنى هى وزيرة حقوق الإنسان.

- بغضـــب ياخذ يدها بقوة، فيلوي ذراعها خلف ظهرها هامسـا في أذنها: لو كنت حي وزرة مثلها فلن يجرجئ فهمت؟

يالمت قائله: آه .. راســل، ايرك يدي. أرجوك أيرك يدي.

ـ سأكسرها.

وشد أكبر، فتألمت أكبر، آه.. يدي، أيرك يدي .. آه!

يم صـاحت، لكبها حاولت خفض صـوبها، بعد ذلك ا عتصرـه الالم علبها، فيرك ذراعها، يم صمها إليه: أنت بجبر؟

- بحدة واحمرار وجه تبعده عنها، ثم تقول: إنك تقدم على أفعال همجية، ثم بابتٍ لتتأسف متظاهراً بتوجعك علي؟ كفاك يا أهذا ما تفعله بي. كفاك.

قطع حديثهما رنين التلفون، فنظرت إليه قائلة: إنه تلفوني.

ـ انظري من؟

قرأت الاسم فإذا هي وزيرة حقوق الإنسان، وقبل أن تتفوه قال لها: إياك أن يردي على مكالمتها.

ـ لماذا؟

ـ أمرتك، فلتطيعي.

- ابتلعت أيام أمره، ثم قالت: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

انتظرا حتى انتهى رنين الهاتف، فهب نحوها، وأخذه، ثم أغلقه قائلاً: حذاري أن يردي دون إذني.

في الليل لم تنم أيام، فقد ظلت تتقلب على الفراش بألم وحرقة من أعز الناس وأقربهم إليها، فضلاً عن ظلم الناس من حولها من المتسلطين والمتنفذين الذين يليهمون حقوق الضعفاء، وبينما هي تتقلب لمحت راسل مستيقظاً يتقلب مثلها، فلم يكن بإحسن حال

مبها، رأته فأدارت وجهها عنه، ثم أطلقت زفرايها، فهمس: أيام، أيام.

ردت عليه بهمس حزين هادئ: راسل، دعنا ننام، فالهروب إلى النوم من جحيمنا الذي نيعشه هو النعم الذي نحط عليه نفوسنا الميرعة بالإوجاع؛ ليهدأ من أبايها وأحزابها.

النوم هو الهروب الجميل، ليته يدوم طويلاً.

ليته، رددها في استياء وألم، ليت ليت، ثم قالت: ليت كلمة ممن لا تغير من الواقع شيئاً، نحملها أسرارنا المحبوءة، ونشحبها لواعجنا الباحثة عن الإمل والتجديد وإن كانت خيالات زائفة، لكنا نجد بقولها شيئاً من الراحة الساذجة، والسكون الموهوم.

بم يا راسل، فالنوم أمسى لنا نعمة بعدما صار كل ما حولنا نقمة.

في الصباح اتصلت أيام بأخيها قائلة له: شامل، خذ فائق معك إلى القرية لزيارة خالته ليالي إلى أن يهدأ الامور.

– والمدرسة يا أختي؟

- سأسوي أموره مع مدير المدرسة؛ ليتم نقله إلى مدرسة القرية؛ كي يواصل دراسته هناك.

– لماذا يا أختي؟

- راسل في حاله لم يعد يحتمل نفسه، ولا بد أن يتمتع بقسط من الهدوء، وفائق بشغبه سيربك هدوءه، فبادر يا شامل لاخذه.

- أيام لا تدافع عن زوجك كثيرا، ففائق ليس مشاغبا كثيرا، وأنت أعلم بذلك، لكن زوجك يبدو أنه من يشاغب باستمرار، بل هو المشاغب الحقيقي لا فائق.

- لا يا شامل، لا تقل ذلك بخصوص راسل، فراسل زوج طيب القلب، لكن أير الصدمة في ماله جعلته عصبي المزاج، سيء التصرف.

- والله لو مد يده عليك مرة أخرى لكسرها.

- أجل شامل، راسل يحبني كثيرا، وقد صبر علي فيما مضى كثيرا، وقف معي، وساندني، فكيف لا أصبر عليه وهو في محنته وتعبه؟!

- أيرضى بصبرك له؟

- هو إلى الان لم يصبر قط، وإن طار منه صوابه، أو انفلتت منه يد، وهو في أشد آلامه وأثقلها عليه، ألا يجب علي أن أعذره وأعتني به.

يا شامل، زوجي هو أغلى شيء في حياتي؛ لذا أرجو منك يا أجل أن تكون وسيطا لا خصما، سأقبل منك ما كان كونك أجل، لكني لن أقبلها منك إن أعديها مرة أخرى، فاعذرني، وتفهم أمري.

في غرفة النوم حمل راسل تلفونه ووسادته قائلا: من الليله سأبام وحيداً في الغرفة المجاورة.

أيام: لماذا؟

- أبا أريد ذلك، لقد قررت ذلك، أريد الهدوء.

- يريد الهدوء في غرفة أخرى؟! وماذا عن هذه الغرفة، أليست هادئة؟! يا راسل، البيت طويل عريض، ولا يوجد فيه أحد سوابا، فلا يصح أن ينام كل منا في غرفة بعيداً عن الاخر.

– لمهدأ كل منا في غرفة خاصة به.

- يا راسل، أبا لا أبحث عن الهدوء إلا عندك، ولا أطلبه من أحد سواك، فهدوء نفسي وراحتها في قربك، لنبم معًا في غرفة واحدة ولو كنا متباعدين.

يمسكت بالوسادة قائلة بحنو وعتاب: راسل، لا تجعل بيننا حواجز ومسافات، فكل حاجز سيكون كفيلا بخلق آلاف المسافات التي تباعدنا عن بعضنا، وكل مسافة جديدة بخلق آلاف الحواجز التي تقصي قلب كل منا عن الاخر، فتحملنا على الجفاء والنسيان، راسل، أرجوك.

- لماذا تضخمين الامور؟ أبا ما زلت في البيت.

- راسـل، ما تقوم به ستعتاده حيمٍا، والعادة مجولٍه بالزيادة، ستترك الغرفة اليوم، ثم تترك البيت غدٍا.

ـــــ لن أيراجع عما عزمت عليه إلا بعد أن تتعهدي أمامي بترك المؤسسة وإلغائها.

ـ ما الذي سببته لك المؤسسة من أذى حتى يريد إلغائها وتفكيكها؟! ومنذ متى كان عمل الخير جريمة؟! أنت يا راسـل بطلبك هذا تتجنى على علاقتنا الاسرية، وتتجنى على حقوق آخرين؛ هذه المؤسسة ملجأ كل المظلومين.

يا راسـل، وعورة الطريق جعلت الناس يسلكون معابر ضيقة، انظر لحالك اليوم وما

وصـــلت إليه، فأنت اليوم تبحث عن هدوء، تظنه هدوءاً، وهو هروب في الحقيقة، وممن يهرب؟ يهرب مني أبا سيجصيا.

- تبهد قائلا: وما دخل هذا بذاك؟ اتركي المؤسسة لو أردت عودتي إليك.

- يهز رأسها: وأنت تعاقبني؟! لمن تعاقبني؟!

يا راســل، لا يفيد العقاب ولا المســاومة، لن ينبرع ما بداخلي منذ عرفت نفسي، ولن يتغير حتى يبرع الروح خالقها.

بعد ســاعة دخلت عليه فوجدته جالسـاً على سريره شارد الفكر.

نظرت إليه فسألته معاتبة: هابي النفس بهذا؟! هل أنت مرياح بجلوسك في الغرفة وحيدًا؟!

يا راسل حبس النفس أوجع من حبس الجسد، والعقاب بغير ذنب أوجع أيضًا، فأنت بفعلك هذا تعاقب نفسك وتعاقبني، تعاقبني بالنيابة عن جهة ما.

- من تعني بذلك؟ أبا؟ أو أنت؟

- كلا با نعاقب، وأنت للأسف من يقوم بذلك.

- تحدثي عن نفسك فقط، فأبا في نعمة غامرة، هادئ البال، مطمئن النفس.

- تتوهم الهدوء، وتتصنع الراحة.

احتجاجات

ما إن تسرب الخبر بخصوص تقديم الدكتورة أيام استقالتها حتى توجهت مجموعة من الطلبة والحقوقيين إلى رئيس الجامعة طالبين منه رفض الاستقالة، كان في مقدمة ذلك طالب، وتبعه مجموعة ثم مجموعات تجول بين الكليات، ويحث الناس على الضغط على الإدارة قائلين:

إلى متى نسكت؟ أنسكت حتى تقبل الإدارة بالاستقالة تحت ضغط السلطة، فالمتنفذون وراء ذلك.

قال أحد الطلبة: ما وسعنا عمله إن قبلتها الإدارة؟

ويقول آخر: ستقبلها -حيما- تحت الضغط والتأثير.

آخر: إلى متى السكوت؟ لقد صادروا مؤسسيها الحقوقية دون أن تعيرض أي جهة جراء ذلك، وقيدوا حركة أعضاء المؤسسة، ولا بد من رد الحقوق لاهلها يا أهل الحقوق، إن لم تتكلموا أنتم فمن سيتكلم؟

هيا رددوا بعدي قائلين: حق الدكتورة أمام أولاً.

هيا انهضوا لمطالب إدارة الجامعة برفض الاستقاله.

هب الطلبة في احتجاجات غاضبة، وسلموا الإدارة عريضة يحمل أسماءهم وتوقيعاتهم رفضًا للاستقالة.

***

في المساء اتصلت أحلام قائلة: يا دكتورة، لقد عمت المظاهرات أرجاء الجامعة رفضًا لاستقالتك، ومن خلف الأسوار قامت كذلك مظاهرات عارمة قادتها رابطة نسائية طالبت بحق الطلبة المحتفس، والغضب يملأ الشارع، يمكنك فتح التلفاز؛ ليري ذلك، أو أن زوجك منع عنك فتح التلفاز؟

صمتت أيام ولم يجب.

فقالت أحلام: دكتورة، هل تسمعينني؟

ـ أحلام أسمعك.

- يا دكتورة، إنهم يمنعون دخول أي شخص له علاقة بالعمل، ويرفضون خروجك أيضًا، فاعذريني إن قلت لك أن الصحافة نسيت أنك تحت الإقامة الجبرية في بيتك، ميمس السلطات بذلك، والشارع متأهب للخروج.

- آه آه: هذا ما أوصلنا إليه راسل بعناده؛ مخلط الاوراق كلها.

راسل تغير كثيرًا حتى أني لم أعد أصدق أنه بعدما كان بالأمس منفتحًا صار اليوم منغلقًا.

- لقد صدق من قال: دوام الحال من المحال. وماذا عن العمل يا دكتورة؟ إن رفضت اللقاء بالوزيرة غدًا فسيحيكون القصص والإشاعات؛

وستختلط الأمور والحسابات فوق ما هي عليه.

يا دكتورة، اللقاء الذي سيكون في مبنى الوزارة سيحضره لفيف من الحقوقيين والقانونيين، وسيكون أكبرهم نساء أيضًا، وبعده سيعقد مؤتمر صحفي، وجل أسئلته ستكون موجهة لك، فالصحافة والشارع كله يريد التأكد منك ما إذا كنت حرة أو لا؟ فكيف العمل؟

سعد يعود

في الصباح لبس راسل ثيابه، ثم قال لإمام: سوف أرجع في وقت متأخر من الليل.

- يا راسل، أريد الخروج من البيت، فالوزرة تيرقب حضوري وكل الناس أيضًا، وان لم أحضر سيعتقد الناس أني تحت الإقامة الجبرية بحق، والناس لن تسكت على ذلك، وهذا لا يصب في صالحنا جميعًا.

ـــــ بحدة: لن يخرجني من هنا أبدًا، إياك أن تفكري بذلك.

صمت قليلًا، ثم خطا خطوات نحو الباب، فقالت له: يا راسل، افهم الامور، فقال: كما أخبرتك سأتأخر عنك إلى الليل.

ودعته مستسلمة: مع ألف سلامة، انتبه لنفسك، وإياك أن تقفل الهاتف.

- ماذا يريدس مني؟

- تبهدت ياسي وخيبة، ثم قالت: ألم يكفك أنك لم يجبرني إلى أس ستذهب؟ ويريد أن يمنع تواصلي بك؟ وشيعته إلى أن خرج.

بعد مرور ساعة رن تلفونها فإذا بإحلام تقول: الحقي يا دكتورة، سعد في المؤسسة.

ـ من سعد؟

- يالث المفقودس من الطلاب.

للتو وصلت دورية شرطة يا دكتورة إلى المؤسسة، انتظري قليلا، فانتظرت الدكتورة لحظات، وسمعت سائلاً: أس الدكتورة؟ أس رئيستكم؟ بعد لحظاتٍ كلميها أحلام: إنهم

يســـألون عنك يا دكتورة، ويهمونك بإخفاء سعد.

حاولت الاتصـال براسـل إلا أن تلفونها كان مغلقا، وجاءها اتصـــال بأن يطالها بسرـــعة الوصـول إلى المؤســسـة، فلمست بعد ذلك حايرة في أمرها، وبعد طول تفكير توصلت إلى أن الجلوس لا فائدة منه، وأن البيرطة ستأتيها لا محاله إن لم تبادر بالذهاب إليها.

وفي مبنى النيابة العامة كانت الدكتورة أمام وبعض من أعضاء مؤسسيها ومندوب قانوني من وزارة حقوق الإنســـان وآخر من قبـل الوزيرة، وبعض الحقوقيين الـذين حضرـــوا التحقيق.

قال سعد لوكيل النيابة: إني اختفيت بمحض إرادتي، وأمتُ من أجبرتني على ذلك؛ لاني لم أجد حلا سوى اختفائي؛ حتى تذوق الالم نفسه الذي ذاقته أم عازم، وبذلك تيهد بما رأت وسمعت من الجناة؛ ليأخذوا عقابهم جميعاً.

المحقق: أوليست الدكتورة أيام من حرضتك وساعدتك على ذلك؟ أو لم تكن هي من أخفتك لتيهم آخرين بذلك؟ أولم تكن هي من يريد رمي غيرها باليهم؛ بحثا عن اليهرة بإساليب رخيصة؟

أيام: هذا الكلام يرفضه جملة وتفصيلاً.

المحامي: عجبًا، لقد أقر الطالب بفعلته، وأنهم لا يزالون يهمسون الدكتورة بدون دليل ظلمًا وجورًا.

أكمل يا بني.

سعد: أقر وأعترف وأنا بكامل صحتي العقلية أن الدكتورة أيام لا شأن لها من بعيد أو قريب بما أقدمت عليه، فقد فعلت ذلك كي تكشف أمتي عن الجناة؛ فأمتي تعرفهم جميعًا، وقد فعلت ذلك وفاءً لصديقي عازم.

لم يمر سوى ساعة على تواجد أيام في النيابة حتى تجمهر حولها جموع من الطلبة والحقوقيين رافضين توقيف الدكتورة وحبسها، غير أن

وكيل النيابة أمر بحبسها ثمانية أيام على ذمة التحقيق.

صرخ المحامي: لا، هذا ليس عدلاً.

لن تحبس الدكتورة ولو يوماً واحداً، لابد أن يتدخل وزير العدل.

مرت ساعة ومازال هتاف الواقفين مستمراً مهدداً بهدم كل ما هو أمامهم واقتحام مبنى النيابة إن تطلب الأمر ذلك.

احتدم الأمر كثيراً، وكانت الكتلة البيرية أشبه بكتلة بركانية توشك أن تنفجر في وجه رجال الشرطة.

تتابعت الاتصالات المطالبة بمنع حبس الدكتورة ابتداء بوزرة حقوق الإنسان، ثم وزر الداخلية، وانتهاء بوكيل وزارة العدل.

وصلت أيام وزارة حقوق الإنسان رفقة أخويها وأحلام، فوقفت أمام الوزرة قائلة: أعتذر عن عدم حضوري الاجتماع والمؤتمر الصحفي، وأؤكد لكم أنني لست تحت الإقامة الجبرية، لكن ظروفا خاصة اضطرتني للمكوث في البيت، وإن شاء الله بعد زوالها سأعود إلى مزاولة عملي فورا.

اعتذرت بعد ذلك عن عدم حضور الاجتماع في الوزارة، وأبابت عنها أحلام في الاجتماع، واعتذرت عن حضور المؤتمر الصحفي أيضا،

ثم خرجت من الوزارة، فركبت سياريها مع أخويها عزم وشامل.

بعد نصف ساعة اتصلت أحلام قائلة: يا دكتورة، الكلمة التي قلتيها أمام الوزيرة مسجلة، وسيبثها التلفزيون، وستتلقفها الصحافة، وسيعرف أبو فائق بذلك.

- الاهم أن يطمئن الناس، ويعرفون أني حرة طليقة.

ـ ولكن...

ـــ أعرف ما ستقولينه، ما بيتي وبين راسل أسهل مما هو في الشارع وأبسط، وما فعلته ليس مخالفة لأمره أو خروج عن طاعته، ولكن

حفاظًا على السكينة العامة، وتفاديًا لأية مواجهة متوقعة بين الناس والبيرطة.

- وغضب راسل؟

- غضب راسل سيصيبني وحدي، وأنا قادرة بإذن الله على امتصاصه وتحمل نتائجه، لكن غضب الناس سيصيب الناس جميعًا، ولك أن تنظري إلى الفرق.

في الليل دخل راسل المنزل، وكان الوقت حينئذ متأخرًا، وكانت أيام على مقعد تنتظره بقلق، وبعد أن رأته دخل علمها، وقفت مرحبة به: الحمد لله على سلامتك حبيبي.

لم يرد علمها، فرجعت إلى مكانها، ووقف أمامها ينظر إليها بغضب. ثم صربها على وجهها،

انحنت بوجهها مغمضة العينين ألماً وحسرة، وبعد أن استوعبت صربته استجمعت قواها وثقبها بي نفسها، فقالت بوجع: إلى هنا ويكفي، يكفيك اسيهتاراً وامبهاباً.

- بحدة: أبا من يحق له أن يقول لك كفاية، فمن الان سمعها ميت، وعمها.

- تقاطعه: اسمعني جيدًا، ولا تظن أنك قادر على إذلالي بالقوة، أبا لم ولن يذلني أحد إلا حبي لك، وأنت أعلم بذلك، وبالحب ولس الجانب ستخضعني، أما بغير ذلك فلا، ولك أقول: لا وألف لا، لا عاش ولا كان من يذلني أو يكسر كراميّ.

- إذن، انتظري مني ما سأفعله عما قريب، سأجعلك تبكي دمًا وليس دموعًا.

- لو استطعت فافعل، لكن البادئ أظلم، وأنت أعلم بي جيدًا.

يركته، ثم توجهت نحو الغرفة.

الكرت

في الصباح أفاق من نومه، وذهب إليها، لكنه لم يجدها في البيت، فتوجه نحو المطبخ باحثًا عن طعام، فوجد على الطاولة ورقة مكتوبٌ فيها: أبا في المؤسسة، وطعام الإفطار في الثلاجة.

مزق الورقة بيد غاضبة: ستدفعين ثمن عنادك.

دخل المؤسسة سائلًا بيهكم: أين رئيسكم؟

أمواج ريبة: في الغرفة.

فتح الباب عليها فوجدها مع بيرسي وأحلام، وعندما رأته أوجست في نفسها خيفة، ثم قالت

لهـــمـــا: تـــفضـــلا الان.

ولما همتا بالخروج مسرعتين صرب بكلتا يديه الطاوله قائلاً: عمليها وخرجت؟!

- اخفض صوتك، فأنت في مكان عمل.

عاود صرب الطاوله بقوة، فردت عليه بحدة: يا راسل، اهدأ.

اقترب نحوها فدفعها حتى أوقعها على الكنبة جالسة، فقالت: يا راسل اهدأ، لا داعي لكل ما تفعله.

يرك جبهته على صدغها قائلا: سيرس متى ما لم يريه من قبل، سأحرق قلبكِ.

فجأة دخل علمها عزم، فقال: يا راســل، إن كان بينكما كلام أخره إلى البيت، أما التهديد والوعيد في مكان العمل لا يحل مشكلة.

رد عليه غاضــبًا: اصمت. لا تتكلم معي، هي وحدها من تتكلم.

ومن خلف الباب، ارتفع صوت قائلاً: أبا من سيتكلم معك.

التفتوا إليه فإذا به شامل يحطو نحوهم قائلا في وجه راســل: لقد حذرتك مســبقًا، وأحذّرك الآن يا عبد البر، كفاكم اميهابا واســتارا بإخوانك.

اندفعت أيام بيبهم يخاطب أخاها ليهدئته: لا يا شامل، أرجوك لا تخلط الامور، هذا راسل وليس ساهل، أرجوك يا شامل تفهم الإمر.

سحبت أخاها من يده بلطف وهي تخاطب زوجها قائلة: راسل، انتظرني عند السيارة، سآتي إليك في الحال لنتفاهم.

بصوت عالٍ: ما عاد يجمعنا مقعد أو جلسات أو بيننا كلام، بل بيننا وعود قطعناها، ولا بد من الوفاء بها.

أخرج من جيبه كرت (دعوة فرح)، ثم مد به إليها قائلا بابتسامة باشفة: خذي يا دكتورة أيام.

ـ ما هذا؟

ـ خذيه، واقرئيه.

أخذته لتقرأه لكنه قال لها: دعوة لحضـــورك أنت بالذات، يم أعضاء شلتك لحفل الزفاف، زفافي بحصرة بنت الحسب والنسب غداً في العاشرة مساءً.

أسرع عزم نحو أخته خوفاً علمها من أن تقع على الارض، لكنها لم تتمكن منها الصـــدمة الاولى، أو أن تفقدها صـــوابها فتجلس على الكرسي مهزوزة ذليلة، فأيام العنيـدة المؤمنـة بحبها وقرارها اعتلت عرش المجد، فهي الحال لملمت جراحها، وقالت بثقة: ثق يا راسل أنك من بـدأت عنـادك والبـادئ أظلم، فـأيام لن تكسرـــها غيرها مهما كانت، ولتعلم أنت وهذه التي يحاول أن تغيظني بها أنك كنت زوجاً لي

يوم كنت راســـل، لكنك يوم انقلبت لم تعد صالحًا إلا لمن يماثلك شكلًا ومضمونًا.

بضحكة ساخرة يقول راسل: ماذا ستقولين؟ وبم ســـيردس؟ يا دكتورة، تظـاهري بالقوة والصلابة.

يهز رأسها شامخة: لن تستطيع بقولك أو فعلك أن تصرفني عن أهدافي مهما حاولت.

مســكه شــامل بطرف ثيابه قائلًا: اخرج من هنا.

برعت أيام يده عنه قائلة: لا، يا شـــامل اتركه في حاله.

رفع يده في وجه شامل محاولا صربه، فمسكه عزم قائلا: كفاك شغبا. هيا اخرج من هنا.

وجه راسل أطراف أصابعه بغيض إلى وجهها قائلا: حســـابي معك لم ينته بعد، يجب أن تعلمي أنه سيكون موجعا.

هما به الاثنان، لكن أيام منعيهما: لا يا عزم، أنت أعقل من أن تتصرف هكذا.

يركه عزم، ثم سحب أخاه إليه، موجها خطابه إلى راســـل: لاجلها فقط، هيا انفد من هنا بجلدك.

جلس راســـل في مكانه، وقال معانداً: لن أخرج من هنا أبداً.

أراد شامل ضربه لكن عزم منعه، وقال محدثاً راسل: اخرج من هنا حالاً.

ارتفع صـــوت أيام بينهم: اخرج أنت يا عزم وخذ أخاك، واتركنا معاً.

- كيف يجرح؟

- تقاطعه: لا يخف علي.

- لا أمان له يا أختي.

- بهدوء: لا تخافا، لن يؤذيني.

- لكنه يا أيام ... دعينا نخرجه من هنا، دعينا نذيقه المهانة التي يريدها فيك.

ـ بنبرة حانية: وإن كان قد حصل منه ما كان منه، فسيظل زوجي، وأبا ولدي.

ـ ليس هذا راسل الأول.

- لكني سأخاطب ما تبقى بداخله من بقايا راسل الاول، ايركاه أرجوكما، واخرجا الاثنان معًا، وايركاباً معًا أيضًا، هيا يا عزم أنت الاكبر، خذ شامل معك.

هدأ الاثنان بعد رجائها وتوسلها، ونظر كل منهما للاخر، ثم قال شامل: سنخرج لاجلك، أما أنت فحسابك معي لم ينته بعد.

خرج عزم وشـــامل، وجلســـت أيام متثاقلة، فوضـــعت وجهها على كفها، أما راســـل فظل ينتظر أيام، وبعد لحظات ثقيلة رفعت رأسها وهي تجفف دموعها قائلة: سوف أحضر حفل زفافك.

راسل: لماذا؟

- أولست من دعاني لحفل زفافك، سأشاركك الفرحة، ويكفيني فيه فرحك به وانبســـاطك، فضلا عن كونه حقا من حقوقك، ألا يريد مني الإقرار بحقك السريع؟!

- وهل ستبكين عندما يريني على المنصة؟

ـ المرأة القوية لا تبكي أمام الناس.

- وهل أنت قوية إلى هذه الدرجة؟ أم هو منك زيف وكذب.

- حينما سأبكي مثل كل النساء عندما تصطدم روحها، وتتلاعبي أمامها كل الامانيّ الكاذبة والوعود الزائفة، سأبكيك عندما يداهمني خيالك وذكراك، سيحصرني الشوق والحنين، وسأبكي كثيرا حينما أرى الاوراق تتساقط، وتتيبس غصون الوفاء.

هدأت قليلاً، ثم قالت وهي يهز رأسها بالم: سأبكيك لانك حاضر في قلبي وإن كنتُ غائباً عنه.

ثم همت بالنهوض وهي تحبس أنفاسها ألماً، وتمسح دموعها قائلة: سأعود إلى البيت.

خرجت أيام من مكتبها، وبركته في مكانه وحيدًا، فاغرورقت عيناه بالدموع.

وفي أثناء خروجها من الغرفة صادفت أحلام، فقالت لها بعينين يملؤهما الدموع: يا أحلام، سأرجع إلى البيت؛ فأبا متعبة.

رثت أحلام لحالها، فقاطعها: أعرف ذلك، اذهبي يا دكتورة، خذي راحتك وأبا وزملائي سنقوم بكل الاعمال اللازمة.

أرادت أن تكلمها بأمر ما إلا أن الدموع كانت أسرع من الكلام، شاركها أحلام دمعها قائلة: بعد انتهائي من عملي سوف آتي إليك مباشرة، لا تحملي هم المؤسسة في قلبك، خذي راحتكِ فقط.

أقسم بالله ..

في الليل دخل راســـل البيت، وبعد لحظات دخل على أمام المطبخ، فوجدها تصـــب في كوبها قهوة، فسارع إليها فحضنها، لم يحتمل منه ذلك، فقد هيج أوجاعها وآلامها، ومس جرحها النازف، فارتد طرفها ألماً، ثم قالت في محاولة مبها للإبقاء على كرامتها: راســـل، أيركبني شأني.

شـــد ذراعيه على كتفها قائلا بجشـــونة: لا تتوهمي أني ســـأرجع عما عزمت عليه، ودفعها

عن نفســـه، فتثبتت في مكانها؛ كونها كانت متوقعة منه ذلك.

خرجت من المطبخ فيركته وحيدًا، ثم توجهت نحو غرفة المعيشة، فتحت التلفاز، وشرعت في تقليب القنوات، وبينما هي كذلك إذ دخل عليها، فاختطف منها جهاز التحكم، ثم أقفل التلفاز، فنظرت إليه بصـــمت، ثم نهضـــت، وتركت له المكان.

تبعها نحو الغرفة فوجدها على سريرها، جلس بجانب ركبتها، ثم انحنى عليها مفترشًا ذراعيه، ووضـــع وجهه على وجهها بقوة حتى برئت عن اتكائها، إلا أنها وضـعت رأسها على الوسـادة،

فنظر إلى عينها بشـــدة، ووجهه على وجهها، فقالت له: ابعد عني.

أدخل بعض أصـابعه في شـعرها، وهو يزفر بضـيق: أنت .. أنت السـبب، ثم رفعها إليه، وصمها بقوة إلى صـدره: أيام سـوف أكسرك، وأنت من حملتني على ذلك.

تبعـده عنهـا بقوة: اتركني.. اتركني، كفـاك، اتركني في حالي أرجوك.

يبقى هو واقفًا، أما هي فتتركه متوجهة نحو حديقة المنزل، فتتبعها بعد لحظات، ووجدها جالسـة على أريكة، خطف هدوءها، وأخذ يغطيها بشاله قائلًا: الجو بارد، هيا ادخلي.

اعتدلت في جلسيها تنظر إليه بعتب دون أن تنبس ببنت شفة.

بادرها قائلا : أتشكين في كلامي؟

استمرت في نظرها إليه دون إجابة، أطلق زفراته في الهواء ثم جلس بجانبها على الأريكة قائلا: أيام..أيام، أقسم بالله أني أحبك، و ما زلت أحبك، ولا يمكن أن ياخذ امرأة مكانك في قلبي، أنت الامل الذي عشت لاجله حتى تمكنت منه، وأقسم بالله -أيضا- أني سوف أكسرك.

ـــ إذن الحلم الذي تمكنت من الوصول إليه تدوسه اليوم بقدميك، أليس كذلك؟

- لإجلك يا أيام، لا بد أن أدوسه لإكسرك.

هزت رأسها حيرة وتعجب، فقال لها: لن تفهمي مني شيئاً.

مالت عنه باظرة في سعة الحديقة وسجيرايها المرصوصة وضوءها الجافت قائله: ولا أريد أن أفهم شيئاً.

صمتا الاثنان إلا أنه سعل بقوة، ثم صمت، فأراد التكلم : أيام...فداهمه السعال ثانية، بهضت تغطيه بالشال قائله: هيا ثم؛ لندخل البيت، فالجو البارد هيج حساسية صدرك، هيا ابهض.

بهض وهو ينظر في عينيها نظرات تساؤل، فبادلته بنظرات عاتبة، واشتد سعاله، فسحبته إليها قائلة: هيا لندخل.

مبارك عليك

دقت ساعة الجد، فارتدت أيام حله المواجهة القوية، كيف لا يكون مبها ذلك وهي من أخبرته قبل ذلك عن نفسها أنها قوية وصلبة، وأن زواجه بأخرى لن يهز فيها شيئاً، ولن يثنيها عن مبادئها؟.

لم يستطع أخواها منعها من حضور عرس زوجها؛ فقد أصرت على يهنئته قائلة: أرجوكما، ايركابي، سأهنئه فقط، لقد وعدته بتلبية

دعوته، ويجب علىّ أن أصدق الوعد، انتظرانى عند باب القاعة فقط.

دخلت القاعة حتى وصـــلت أمامهما، مدت يدها له قائلة: مبروك!

رفع يده لها، وهو فى حاله بس الناظر الاعمى، الحاصر الشارد، المدرك المغيبى، المصدق غير المصـــدق، مذهول رؤيتها، مرتبك، تلعيم فى كلامه، ولم يســـتطع نطق حرف من اسمه، بل ظل زائغ النظر فيها، وفيمن حولها حتى بادرته بثقة قائلة: ماذا بك؟ هل أنت غير مصدق؟

ـ أأي....أيـ ...ام ..

ـ أيام، نعم أيا أيام.

أما هو فظل على ما هو عليه، فقالت له بإنية: ما بك؟ لم تتوقع مني المجيء؟! حدق في وجهها والتبسم يملأ محياها، ثم شدت على يده، وجعلته يلمس جسده المتبعير، ليقول: لقد أثبتت عكس ما توقعته.

- ما الذي كنت تتوقعه؟ هل توقعت أني سأكون رهينة قيود مجتمعية تسقيني الحسرات، أو أبام على خدي حزينة أندب حظي المتعير.

هز رأسه بعد قليل من صمت: لقد أثبت أنك قوية إلا أنني على الرغم من هذا سأكسر قوتك.

مالت عنه مبتسمة، ثم هنأت العروس، وانسحبت من القاعة.

ظلت العيون يرميها متسائله: من تكون هذه المرأة، فقيل: إنها الدكتورة أيام، زوجته السابقة، أتته مهنئة.

اخيرقت التعليقات الإسماع: ما عهدنا ذلك من قبل، يا لها من امرأة!

لقد كسرت الطوق، وكسرت المألوف، واخيرقت العادة، إنها امرأة لا يصدق أن تكون مثلها امرأة.

يا لها من قوية!

لحظات قاسية

حانت اللحظات الرهيبة على قلب أيام، ملاها الإلم و الحسرة والندامة، وطوقها

الاحاسيس القاسية، وحاصرها الدموع الغزيرة، فهي وإن كانت قد وقفت بشموخ وكبرياء مهنئة زوجها في فرحه إلا أنها لم تقف وقفتها تلك من أعماق قلبها، لقد كانت مضطرة لفعل ذلك، غلبها الحزن فبكت حتى بلت الارض بالدموع، وكيف لا تبكي وهي من اعترفت له بذلك، وأقرت أنها حينما ستبكي عندما تغوص ذكراه في نفسها، ويحرق الشوق قلبها، فصورته لا يزال حاضرة في عينها، وطيفه لا يزال متجولا في خيالها، ومحياه يداعب هواجسها، لقد ذهب عنها بجسده فقط تاركا لها بقاياه التي أجهضت الرفض، وأسقطت العنت والقسوة، ويجلي هو على منصة صدرها بحبه الاول وعهده القديم.

لم يسعها السرور لهول ضيفها، فخرجت نحو الحديقة، وقعدت على الأرجوحة وهي تميل على جنبها الأيسر، والأرجوحة تتحرك بها ببطء، أطلقت زفرايها في الهواء الطلق، ثم نظرت إلى السماء التي تتوسط صدرها النجوم المتلألئة، وأرسلت تنهيدة طويله، ثم قالت: (سبحانك ربي ما خلقت هذا باطلاً).

جالت بناظرها في جوانب الحديقة، ثم وضعت وجهها على يدها التي تمسك بها حبل الارجوحة، ثم أطبقت وجهها على ذراعها، وظلت كذلك حتى قطع هدوءها صوت خرج من المنزل، نهضت لترى ما الذي يحصل هناك، فإذا هي ترى شامل أمامها تريد إخراج العروس اللذين دخلا البيت، وعزم يحاول

يهدئته، ثم اندفع راسل يجر عروسته؛ ليدخل بالقوة، وقفت أيام تنظر إليهما، ثم نظرت إلى أخويها قائلة بهدوء: دعه يا شامل، إنه عريس، دعه يبيت بعروسته في البيت، صمتت ـــ وقد ذهلا لقولها ـــ ثم واصلت كلامها وهي تحدق فيه بنظرات ذات مغزى، دعوه؛ فهو تجيئه للبيت في الياقوتة ما قصد بها غير أيام، صمتت برهة، ثم واصلت حديثها قائلة: وأيام هي من تقول له بت الليلة إلى الغد، وفي تمام التاسعة صباحًا ابحث لنفسك عن مكان تقضي فيه شهر العسل مع عروسك.

يترك راسل يد عروسته مقتربًا منها قائلًا: ما قولته هو الصدق بشحمه ولحمه، وهذا يدل على نقاء سريرتك.

أيام: سري لن يصعد عليه مخلوق، لكن مروءتي تمنعني من غلق بابي في وجه من له علي معروف (من صنع لكم معروفاً فكافئوه).

- يحاول التجلد والثبات عبثاً.

- التجلد لا يمكن أن يكون إلا من نفس تؤمن بحقها، وهي تستميت بالدفاع دونه.

اندفعت العروس قائلة بسخرية: تستميت ظناً منك أنه سيعود لك.

أيام: ليست الاسياتة التي تعنيك، وإنما الاسياتة المسروعة التي تعنيني.

- الاسياتة التي تعنيك صارت تعنيني.

ـــ إن نفسي أرفع من أن يجادل فيما لا يعنيها، قولي ما شئت، فلن يجريني إلى غير ما أقصده، وأعنيه.

- بم سيردس؟ لا يهمني كلامك وأوراقك وأقلامك، فالمهم هو زوجك الذي أخذته منك.

- أوراقي وأقلامي تقول: دع السفيه يهذي، ويقول ما يشاء، فقوله مردود عليه، وكل إناء بما فيه ينضح، أخاطبك بخطاب مستضيف لضيفه الذي يتدخل في شأن لا يعنيه.

- أنا لست ضيفة، أنا صاحبة البيت، والأمر يعنيني أنا بدرجة الأولى.

ابتسمت أيام، وقالت وهي تنظر لراسل: ألم تفهمها قبل أن تدخلها البيت؟

العروس: ماذا؟ ماذا يفهمني؟

التفتت أيام لإخويها قائلة: تفضلا بالخروج.

انتظرت أيام حتى خرج أخواها، فأطبقت راسل: فهمها الموضوع جيدًا؛ لانه يعنيها جدًا، ثم التفتت للعروس قائلة: مني أحتجت شيئًا من زينة وعطر وملابس خفيفة فالدولاب والتسريحة فيهما ما شئت، يا راسل أنت أعلم بإدراج الغرفة فعرفها علمها.

لم ينم راسل تلك الليلة، فقد تظاهر بالنوم لزوجته، وظل كذلك وقتًا طويلًا، وفي تلك

اللحظات كانت أيام جالسة في غرفيها، لها شعور رهيب وإحساس موجع.

ما أوجعها من لحظات، وما أقساها! وما أفظعها من مفارقات! يا لها من مفارقات عجيبة! يا لامس كابا أسعد زوجين نعما بالمحبة والسعادة والنعم، وقد هداهما الله لذلك بعد وقت من الصد والإعراض حتى أوقعها في حبه، وبعد سنوات من الحب، جاءها اليوم بروجة جديدة أرق بها مضجعها، أيصدق هذا أو يعقل؟! هل هي في كابوس أم في حقيقة؟!

بامت العروس بعد ذلك، وبعد أن باكد راسل من نومها خرج من الغرفة بهدوء متجهًا نحو الحديقة، فقد كان شاعرًا أن أيام ستكون هناك في هذه الساعة؛ فقد لمحها قبل ساعة

فأيقن أنها لم تنم بعد، وصدق إحساسه وما كذب، فها هي أيام متكئة على مقعد، ووجهها بين يديها الممدودتين على أعلى المتكأ، وقف أمامها قائلا بهدوء: أيام .. أيام، هيا أدخلي؛ فالبرد سيأكل عظمك.

رفعت رأسها بعد ما أفاقها صوته من سبابها، ونظرت إليه بهدوء، ثم استوت في جلستها قائلة: البرد ينخر أو يأكل العظام؟ هل أنت متأكد من مقولتك؟

نظر إليها، ثم قال: لا أعلم إن كانت مقولة أو معلومة.

- ساخرة: لعلها دراسة بعد تجارب، وما أكثر التجارب، أليس كذلك؟

ـ هيا ادخلي.

استدارت عنه بعد أن نهضت من مجلسه: اذهب. هيا اذهب عني.

اقترب قليلا نحوها ليطوقها كعادته، باغتته بنبرة جافة شلت حركته: مكانك، إياك ثم إياك أن تقترب مني.

- إنك زوجتي وحبيبتي.

ـ بسخرية: حبيبتك؟!

يأتي بها إلى بيتي متحديا مستفزا، ثم تقول حبيبتي؟! إن كانت المحبة عندك طلاءٍ يرش به عدوانك وغرورك الساذج فلتسكبه في مكان

غير هذا المكان، ولتلون به ما تشاء، ولتعش كما تشاء.

ـ وأنت؟

- أبا لا أقبل على نفسي ـ حياة أجبر فيها أو أميهن.

- لكنك أنت من قلت إن الزواج بإخرى حق من حقوقي.

ـ نعم قلت ذلك.

ـ فلم تعيرضني الان؟

- بحزم: هذا لا يعطيك الحق أن يأتي بها إلى بيتي، وبنبرة باكية تواصل حديثها بعد لحظة

صمت: يجثو بها على صـــدري؟! ويمزق بها قلبي؟! إن كان قلبي يهون عليك يمزيقه، فراع العشرة والمحبة التي بيننا، راع سنين الالفة التي جمعتنا.

لامس كلامها شـــغاف قلبه، فقال: أيام، إنك بقرارك هذا تقتلينني.

- وبقرارك أنت، ماذا فعلت بي؟!

وهنا أنســـاب الدمع من عينيها كالســـيل، حاولت الوقوف فلم تســتطع إمســاك نفسهـا، فرجعت إلى مكانها يمســح دموعها، جلس إلى جانبها متوســـلاً باكياً يقول: أيام، صـــدقيني، فأنت وحدك التي في قلبي، ولن يتســـلل إليه

حس امرأة أو يلفحه عرفها، ولو جاءت نساء الأرض كلها بما يجذب الرجل فلن يغير ذلك في قلبي شيئًا، فأنت من تفتحت عيناي عليك، ومحال أن يرى عيني بعدك أحدًا، فعلى حبك دق قلبي، وبمت عاطفتي، يا أمام، يامن ملكت نفسي منذ صغري، محال أن يتملكه غيرك في كبري.

دنت رأسها يمسح دموعها، فنهض من جلسته يريد أن يهوي عليها، لكنها منعته، وجثا على ركبتيه أمامها واضعًا يديه على ركبتها قائلًا: أمام، حبيبتي، ونور عيني، يا كل عمري.

هز كلامه وجدانها، فصمتت.

نظرت إليه، فرأت عينيه المليئة بالدموع، مدت يدها تمسح دموعه قائلة: اذهب يا راسل إلى زوجتك، فهي أحوج إليك مني.

أخذ كفها، وطبع عليها قبلة طويلة، حملت معاني كثيرة، ثم قال متأثرا باكيا: أيام لا تحرميني الوصل، ولا يحكمني علي، فأبا غير مذنب، صدقيني.

نظر في عينيها، ثم اقترب منها أكثر، ووضع رأسه في حجرها، ثم أجهش باكيا، فبكت لبكائه، فقال: أبا لا أقدر على بعدك.

- وأبا لا يجمع قلبي بس شعورس أو يسعه.

يهز رأسها باكية: الحب والكره لا يجتمعان، والصدق والكذب لا يكونان، والغدر والوفاء

ضدان، فكيف لي جمعهم في قلبي؟! فقلبي مِلاه شـــعور واحد هو حبك، واليوم لا أقدر على يحمل الشعور الاخر.

أراد التكلم، لكنها قاطعته: أردت كسري، وما كسرت إلا قلبي.

صمتت قليلا تستوعب آلامها المتدفقة، ثم هزت رأسها قائلة بصوت مبهدج: كسرت ثقتي فيك، ورهابي عليك، كسرت الذي كنت أظنك عليه باقيا، الوفاء الذي ظننت أنه فيك، ظننته فيك وحدك دون غيرك من الرجال، الرجال الذي يغدرون يلجؤون إلى فعلك عند الظروف الطارئة، أما أنت فقد

لجأت إليه دون ظرف أو عذر، إما عتوا وغرورا.

لما سمع مبها ذلك جثا على ركبتها باكيا، مسحت بيدٍ رأسه، ورفعت وجهه بيدها الاخرى باظرة في عيونه الدامعة قائله: يا رأسل، يا صفوة قلبي، وسراج عيني التي لم يرَ بعده نورا، اذهب إلى زوجتك فهي بانتظارك.

ثم سحبت يدها باركة وجهه، ومائله بوجهها عنه، انتظر قليلاً، لكن أيام ظلت كذلك، وبهض بعد ذلك متثاقلا خائبا حزينا، ثم وقف مرسل زفراته المكبوتة، ثم خطا خطوات، ووقف قائلاً: بعيدة، بعيدة هي يا أيام مبي،

وإن كانت بجانبي، ولن تبلغ قربك، وقريبة أنت يا أيام مني، ولو كنت بعيدة.

ثم أدار وجهه ليخطو، فاستوقفته قائلة: يا راسل، سأعود من عملي غدًا، ولن أجدكما في البيت، أليس كذلك؟

هز لها رأسه موافقًا.

في الصباح دخلت أيام المؤسسة، وفي أثناء مرورها حيث كل من صادفته أمامها، رأت الوجوه تنظر إليها باهتمام، دخلت غرفة مكتبها فألقت السلام على زميلاتها، رديا عليها بهدوء وهما ينظران إليها، وقد بدا تغير قسمات وجهها التي كشفت تعبها الظاهر، فقالت أحلام

بصـــوت رقيق حـانٍ عليهـا: لمـاذا يا دكتورة أتعبت نفســك بالحضـور؟ سـأقوم أنا بالعمل نيابة عنك.

أيام: ولماذا لا آتي يا أحلام؟ إنه واجبي، وقد منعتني عنه ســابقًا أسـباب زالت دون رجعة بإذن الله.

يا دكتورة، أقصد بسبب ما حصل في الأمس، أعتقد أنك لم تنامي البارحة جراء ما حصـــل معك، ولا أعتقد أنك ســتســتطيعين تحمل ذلك.

نظرت إليهـا أيام باســتغراب، وأرادت أن تســألها، إلا أن أحلام ســبقها قائلة: عفوا يا

دكتورة، أبا امرأة مثلك، وأشـــعر بشـــعورك، فصعب عليك تحمل ما جرى، واعذريني إن تجاوزت حدودي، إن كان قد يروج فليروج، وليذهب بها أيما شـــاء إن لم تكن جهنم لا إلى بيتك.

أيام: ومن أخبرك بذلك؟

ســـليها أمواج الصـــحيفة قائلة: تفضـــلي يا دكتورة، اقرئي ما تقوله الصحف.

طالعت أيام في الصـــحيفة، فإذا بها ترى في عناوينها الرئيسة "راسل يبيت بزوجته الجديدة في منزل الدكتورة أيام (زوجته السابقة).

بعد أن قرأت أيام الخبر قالت: إنه خبر قصد من وراء نبره الإساءة، لكن ليهم أيموا الخبر بدلا من اكتفاهم بجزء مقصود منه بقصد النيل مني، واستثارة مشاعري.

أحلام: هل سيظل زوجك وعروسته في مبرلك؟

أيام: بالطبع لا.

أحلام: أرجو منك يا دكتورة معذريتي، وما كان له الحق في أن يكسر اعتبارك بإدخالها بيتًا ليست بيته.

أيام: لكن البيت بيته يا أحلام.

أحلام: كتبه لك هبة وهدية، وأظن أن الهبات والهدايا تعد ملك الموهوب، لا يستطيع الواهب استرجاعها، وكان الاجدر بك أن تطرديهما، والطرد أقل ما يستحقانه منك.

أيام: لا، لا يا أحلام، وهو من أهدابي إياه، فكيف يعقل أن أخرجه منه ليلا؟! أيعقل أن يحدث مني ذلك؟ وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

أحلام: ما فعله بك أخيرا يعد غدرا، محا كل الإحسان، ولا يستحق عليه ذرة من إحسانك.

ابتسمت أيام ابتسامة باهتة، لكن أمواج بادريها قائلة: ردود أفعالك يا دكتورة تنم عن

مشـاعر امرأة اميرج فيها معاني الحب والمروءة والوفاء والصبر والحكمة.

فقالت أحلام بدعابة مقصـــودة: هو الحب يا دكتورة من يتحكم بالنساء لا بيتء غيره.

يرسل زفرايها، يم تواصل حديبها متأسفة: من رآكم بالامس لن يصدق ما يراه اليوم، فسبحان الله مغير الاحوال، مـا كنـا نتوقع أن يصـــل راسل إلى هذا الطريق.

بعد ســاعة وصــلها خطاب يطالبها بصبرــورة الرجوع إلى الجـامعـة، وأن الإدارة والطلبـة بانتظارها.

رجعت أيام إلى بيتها، دخلته بخطوات مثقلة بالاحزان، ليرى كل جوانب البيت وأركانه بلا راسل مقفرا، ذهب بها خيالها إلى ذكراه وهو يدخل عليها مطوقا إياها كعادته، يجلس في هذا المكان أو ذاك، فيضع رأسه في حجرها وهي تمسح بكفها قسمات وجهه وشعره، فيبهض بحوها، ويضمها إلى صدره، لم تشعر في أثناء تذكرها سيريط الذكريات إلا بفيض دموع منهمرة كدر السحابة، خرجت نحو الحديقة تبحث عن متنفس، فارتمت على أريكة تقع في طرف الحديقة، يعلو الاريكة وما حولها من مقاعد سقف ذو أعمدة، تعالت أصوات العصافير المحلقة فوق شجيرات الحديقة، نظرت

إليهم وهي يمسح دموعها، فرأت شامل آت نحوها، مسحت بظهر كفها دموعها، فدنا منها قائلا: لا تحسبي حسابي للغداء؛ لأني سوف أسافر القرية.

ـ لماذا؟

- ليالي أرادت مني إحضارها لزيارتك، ربما أنها ستقصيني معك أيامًا.

تبهدت وهي تميل بوجهها نحو العصافير قائلة: يبدو أنها سمعت بالخبر.

طأطأ شامل رأسه قائلاً: نعم، لقد سمع أهل القرية الخبر.

لم تشعر أيام إلا بإذان العصر يبدد صمتها، بهضت من مكانها، فدخلت البيت، وقبل أن تقطع خطواتها نحو الحمام لتتوضأ رن تلفونها، نظرت فيه، فإذا هو راسل، شعرت بطعنات ألم تنغرس في أحشائها، فتسمرت في مكانها حائرة، أيجيبه أم لا؟ ظلت على ذلك حتى توقف الرنين، وبعد لحظات عاود هاتفها بالرنين مرة أخرى، لكنها يركته متوجهة نحو الحمام.

وصلت أيام الجامعة وما أن خطت خطواتها الأولى حتى استقبلتها الوجوه فرحة مستبشرة، مرحبة بعوديها، فالتفت حولها الجموع، ثم استقبلها طاقم التدريس النسائي، وكانت في

مقدميهن معيرة ومعالن، ثم بعد ذلك استقبلها العميد رفقة وكيله عند باب الإدارة.

أســـاء الخبر إلى القلوب المحبة لإيمان، فأكبر الناس في لوم زوجها ويحقره، وكان من بينهن صديقها تسامح التي اتصلت بها معتذرة عن عدم قدرتها على زيارتها، وقالت لها: أيمان، أرجو أن تقبلي عرضي وطلبي وتشرفينني بمجيئك إلى بيتي، فأنت تعلمين بأن وليدا مريض، ولا يريد أحدا بجانبه غيري، وأبا لا أستطيع تركه.

ـ إن شاء الله.

فقالت لها: أرجوك كثيرا، إني مشـــتاقة لك، فعديني بزيارتك.

- إن شاء الله غداً، سآتيك بعد صلاة العصر.

أم سعد في القصر

يمكنت أم سعد بمعونة ابنها حمدي من الوصول إلى المكان الذي قصدته (القصر)، قصدته وهي على معرفة مسبقة بأهل ذاك القصر، فقد كانت طباخة ماهرة لأهل ديوان المحافظة.

فالذي يسكن القصر اليوم كان بالأمس يعمل في مبنى المحافظة، فأم سعد طاهية معروفة لدى الشخصيات الكبيرة، قال حمدي: إن أم

سعد تطلب الدخول إلى حجرتكم، فهي تريد العمل في القصر.

- من هي؟

- أنسيتها؟! أم سعد طاهية حجرتكم إبان عملكم في ديوان المحافظة.

- سكت قليلاً، ثم قال: نعم .. نعم لقد تذكرتها، أين هي الآن؟

- إنها تنتظر إذناً بالدخول عليكم.

قطع كلامهما رنين التلفون.

إلا أن أم سعد لم تتمكن من الدخول عليه، فلزمت مطبخها.

ورقة بورقة

(في الفندق)

في غرفة الفندق كان راسل وزوجته كل منكبٍ على نفسه، شاردي الفكر، كان على رأسهما الطير، وفجأة كسر صمتهما رنين الهاتف، رد راسل على المكالمة في ذهول، ثم قال لها أن أنهى المكالمة:

ـ هل هي معك؟

ـ نعم.

ـ سلمها.

أخرجيها له من حقيبتها الموضوعة على الطاولة، ثم قدمتها له، فأخذها، وقرأها في صمت زائغ، ثم خطفتها من يده قائلة: لكنك يا راسل، يا زوجتي، تناسيت أن الورقة هذه لن تكون لك حتى يأتي بورقة غيرها، أي: سلمتي أسلمك.

ـ ما هي الورقة؟

ـ ورقة طلاق زوجتك أيام.

سحبها من يدها بقوة قائلا بغضب: لا تظني أنك ستأمرينني بما تشائين، وما أنفذه ليس إلا حفاظا على روح أيام.

انبرعت ذراعها منه بازدراء وهي تتألم: ايرك يدي يا غبي.

في الحال رن تلفونه، يركها هارعاً نحو تلفونه، فإذا بالمتصل يقول له محذراً: إياك أن تتسرع بمد يدك إليها، إن فعلت ذلك فستدفع ثمناً غالياً في أيام.

بابرعاج يقول: وما المطلوب إذن؟

ـ ورقة الطلاق.

- إنكم تطلبون المستحيل، ولا يمكن أن أطلقها وإن قتلتموني.

ـ إذن نقتلها.

ارتفع صـــوتـه مـذعورا: لا، إياكم أن تفعلوا ذلك، خذوا كل شيء، فأبا لا أريد مالاً، دعوا أيام حرة طليقة.

ـ إذن نفذ المطلوب.

ـ وما الذي ستجنونه من ذلك؟ صمت قليلاً، ثم قال: أبا لا أقدر على طلاقها.

- ليس ذلك من شـــغلك، نفذ كل ما يُطلب منك؛ لتحفظ روحها، ولا يحزن، فهي سـيزال زوجتـك؛ لأن طلاقـك لهـا مـرة واحـدة ستحفظها من الهلاك، سـلمها الورقة لتستلم ورقة غيرها، أفهمت؟

بعد ساعتين أنهى راسل مهمته إلا أن الزوجة تمتمت في نفسها: حسنًا يا زوجها اصبر علي.

الفخ

في عصر اليوم التالي توجهت أيام برفقة أخيها شامل لزيارة صديقتها تسامح في بيتها (فيلا الفردوس الصغير)، برلت أيام من السيارة أمام باب الفردوس، فسألها شامل: متى أعود لك؟

ـ عندما اتصل بك.

ما لا تعرفه أيام أن رؤية قد خطفها البهمق، وعندما عرفت بخبر أيام وزيارتها، اتصلت

باخبها الزايدي (صديق البهمتي) يجبره بالزيارة، فرفع أخوها سماعة تلفونه يجبر البهمتي بذلك.

البهمتي: وما شأنك بزيارتها إلى بيتك؟

الزايدي: كيف لا شـأن لك بذلك، وهي من دوختك وأتعبتك.

— كيف تقول لي ذلك وهي في بيتك؟! أيريد مني أن أعمل بها شيئاً وهي في بيتك؟

— الأهم أن تصبرها صبر بتك القاسمة، أليست المتسببة بذلك؟!

ـ نعم، لكن كيف العمل؟

- لا تسأل كيف العمل، فالمهم بالنسبة لي هي حلاوتي، ما هي؟

– الذي يريده.

ــ إذن لتكن على استعداد عندما اتصل بك، الطعم عندنا، والصـــنارة موجودة، وعلى بركة الله.

توجهت أيام نحو الباب ليرن الجرس، أما شامل فقد كان في السيارة يجري اتصالا، فرأى ثلاثة رجال يتسابقون جميعا حاملين كاميرات تصور، يدخلون الفردوس خلف أيام مباشرة، فاستغرب من ذلك، وقطع اتصاله، ثم هدأ مطمئنا نفسه قائلا: لعله لقاء مرتب مع أيام.

بعد لحظات من تحرك سيارته وصلت أيام إلى المنزل، فوجدت رؤية بانتظارها، تبادلتا التحية والمصافحة، ثم تساءلت بعد أن رفعت عن وجهها اللثام: أين تسامح؟

فأجابها رؤية: إنها في الطابق الأعلى مع وليد تناوله دواءه، لكنها سوف تأتي بعد قليل، لن تنتظري كثيرًا، إنها مشتاقة إليك جدًا.

هزت أيام رأسها قبولًا ورضًا، ثم جلست على كنبة، وفي الحال ذهبت رؤية، ثم عادت إليها بعد لحظات وفي يدها شال قائلة: خذي يا أيام هذا الشال، إن تسامح تقول لك: اخلعي هذا الغطاء الذي على رأسك، وضعي هذا

الشـــال بدلاً عنه؛ فقد اشـــيرته لك بالذات، وتقول: إنها يريد أن يأتي إليك حالاً ليراه على رأسك، فلا يجابي، لا أحد سوانا في البيت.

قلبت أيام الغطاء (الشال)، وكان شفافاً لامعاً متلالئاً لكيرة حبات الجرز عليه، ثم تساءلت: ولماذا ألبسه؟

— إنها اشيرته لك عانية لهذه الجلسة، وتقول: إنها مشـتاقة لمثل هذه الجلسـة معك، وتتمنى أنها تطول لســاعات؛ لهذا لا بد أن تلبســيه، وأن تبعـدي غطـاك هـذا؛ فقـد يضـــايقك، انتظريها في الحديقة إلى أن آتيك بالبيرـــاب، ماذا يحبس أن تيرين؟

ـ عصير.

ذهبت رؤية، فتوجهت أيام نحو الحديقة، وجلست بعد أن خلعت غطاء رأسها مرتدية الشال الشفاف جاعلة طرفيه حول صدرها وأعلى ذراعيها، وبعد قليل أتت رؤية بالعصير، وجلست بجانبها وهي تضع العصير على الطاولة، ثم قالت مبتسمة: الله يا دكتورة أيام، ما أجملك وأنت ترتدين هذا الشفاف اللامع وكأنك قمر وسط كوم من فضة ولؤلؤ!.

ابتسمت أيام شاكرة، ومدت لها رؤية بالكوب العصير، أخذته منها، لكنها رأت

الكوب الاخر غير ممتلئ، فسألها: لماذا الكوب الاخر نصفه؟

ارتبكت، فقالت متلعثمة: ل .. ل .. لقد سربت نصفه في المطبخ.

تسرب الشك إلى صدر شامل، فذهب نحو عزم يخبره بما كان، فقال عزم: لعله لقاء معها.

شامل: لكنهم ثلاثة من الصحفيين لا الصحفيات، وأنت أعلم بإيام، فهي تحرص في مقابلاتها الصحفية مع إناث إلا عند الضرورة.

- لعلها ضرورة.

- لا.

- إذن ياكد من أحلام فهي أعلم بمواعيدها.

بعد الاتصال بها أخبرته بعدم وجود أي مقابلات معها اليوم، فالمقابلات تكون مواعيدها مسبقة.

انتابت نفس شامل حيرة لم يهدأ حتى تحولت إلى غضب، فأخذ معه أخاه متجهًا بسرعة جنونية إلى حيث المكان، وبعد لحظات أوقف سيارته أمام البوابة، فقال عزم: ياكد أولا.

في هذه اللحظات كانت أيام قد يركبها رؤية قائلة: سأعود بعد لحظات.

بقت أيام في مكانها شـــاردة، لكن ببرودها لم يدم طويلاً، فقد بوغتت بمن أياها ليطوفها من الجلف، في الوقت الذي كان هناك أشخاص آخرون يقفون أمامها بكامرات تصـــور ذلك، وبينما تدفع عن نفسها هذا الذئب الذي طوقها بوحشية قائلة: ابتعد. ابتعد يا حقير.

في الحال رن تلفونها في حقيبتها غير أنها لم تتمكن من الرد.

برل شامل من السيارة غاضباً بعد أن داهمه اتصال من أحلام أن أيام ربما تكون في خطر.

جرى نحو البوابة صارخاً بأخيه عزم: اتبعني.

اقتحما الباب بقوة حتى دفعا رؤية التي لم تقدر على منعهما، فقد تشبثا بطرف ثوبها قائلان: أمي الدكتورة؟

يرد عليهما رعب: إنها في الحديقة.

جريا نحو الحديقة يائسين، فرأيا ما رأياه، فانقض شامل على الذئب يصب عليه ويلاته من لكمات وركلات قوية في كل جسمه، وأمسك عزم يسابق المصورين لانتزاع الكاميرات، فتمكن بصعوبة من الإمساك بأنس بينما تمكن الثالث من الهرب، يجري خلفه دون أن يتمكن منه.

في المساء وصل أيام اتصال يفيدها أن راسل في المستشفى قد تعرض لعملية ضرب عنيفة.

توجهت أيام إلى المستشفى مذعورة، ولم يهدأ إلا بعد أن رأته على سريره ممدداً والشاش يغطي أكبر جسمه ونصف وجهه، فقالت له وهي تجلس بمحاذاته: حمداً لله على سلامتك! ما الذي حصل؟

رد عليها بصوت ضعيف مجلجلٍ: لا أعرف.

ـ كيف لا تعرف؟

ـ لا أعرف، ولا أريد أن أعرف.

ـ كيف؟ أبا لن أسكت.

ـ إياك أن تتدخلي.

- لا؛ بل سأتدخل أبا ومؤسستي، وسأبلغ البيرطة والإمن بذلك.

- أمام، أبا لا أستحق منك ذلك.

-كيف تقول هذا وأنت زوجتي وأبو ولدي؟

-أمام، لا شأن لك، أرجوك ايركيتي الان.

باتت إلى جانبه في المستشفى، ثم خرجت في الصباح باركة بجانبه أخاها عزم.

وعند دخول ساعات المساء الاولى، وصل خبر إلى مسمع أمام يخبرها أن غرفة راسل نسفت، فصاحت: راسل.

لكبها عندما وصلت إلى المستشفى عرفت أن الجاني أراد بعمله نسف سرير راسل إلا أنه كان خارج الغرفة؛ فقد تقوى على آلامه، وخرج إلى حديقة المستشفى.

الصدمة

في أثناء استعدادها في الذهاب إلى المستشفى اعترضها شامل بوجه غاضبًا وهو يقول: ارجعي لا تذهبي إليه.

ـ لماذا؟

ظل شامل صامتًا، فسألته مرة أخرى: لماذا يا شامل؟

صمت ولم يجب أيضـــا، فحاولت الخروج مرة أخرى، فأمســك يدها قائلاً بغضــب: يا أيام، قلت لك ارجعي.

ثم غض صوته قائلا: يا أيام، لا تذهبي، دعيه يموت، فالموت قليلٌ بحقه.

ذهلت لذلك فتساءلت: شامل، أخبرني بالله ما الذي حصل؟ لماذا يمنعني؟

ســـلمها صحيفة كانت بيده مطوية قائلاً: أيام، اقرئي، لقد طلقك النذل.

قرأت تلك الصـــحيفة فتســـمرت في مكانها، وتســـارعت دقات قلبها، واغرورقت عيناها بالدموع بعد أن رأت بالبند العريض " رجل

الاعمال راسل عبد البر يطلق زوجته أيام بعد فضيحة أخلاقية مدوية" يابعت قراءة تفاصيل الخبر المدعم بورقة الطلاق البيرـعية "في لقاء غرامي جمعها بعشـيقها في فيلا الفردوس، الحقوقية أيام عبدالباقي تسـقط في مسـتنقع أخلاقي غير متوقع، فقد ظهرت في صور مختلفة مع عشيقها في أثناء تناولهما البيرـاب، وصور أخرى تظهر عشـيقها مطوقا لها من الخلف، وبعد الفضيحة مباشرة سارعت إدارة الجامعة التي تعمل فيها الدكتورة إلى فصلها مباشرة"

لم يحتمل أيام قراءة تفاصـيل الخبر، فدارت الدنيا في وجهها، وكادت تقع أرضـا لولا تدخل أختها، وهي يردد لا حول ولا قوة إلا بالله العلي

العظم، ثم قالت له بصـــوت ميهدج: لا يجف علي، ايركني في حالي.

يركها على المقعد وهي بين الغيبوبة والإدراك من هول الصدمة.

في الحال جاءت ليالي من المطبخ ليراها على ما هي عليه، فتساءلت بحيرة: ما الذي يحصل؟ أخبراني.

لزمت أيام فراشها دون حراك، ولم يحتمل ليالي ذلك، فطلبت من أخويها إسعافها فورا، فقال عزم: لا داعي لإسعافها؛ إذ يمكننا طلب جارتنا إرجاء.

عاينها الدكتورة، وتكلمت معها، ثم خرجت من عندها منيرة، فتلقيها ليالي سائله: يا دكتورة، طمئنيني.

قالت الدكتورة مبتسمة: لا يجابي، فأيام ليست مريضة.

- لكنها لم تترك فراشها منذ قراءتها الخبر حتى الان، فكيف لا تكون مريضة؟

- لا تقلقي، فأيام أقوى من الصدمة، لقد أعطيتها علاجًا، وسيهدأ عما قليل، وسأصرف لها دواءً لتتناول كل يوم حبة، فهو كل ما لها عندي، وياكدي أنها ستذهب إلى عملها كالعادة.

- كيف ستذهب إلى عملها بهذه السرعة، إنها يحتاج إلى الراحة والهدوء.

- دعها تذهب إلى عملها، فحبسها عنه وعن الناس هو المرض عينه، دعها يخرج إلى العمل، فعملها ويحركها ونشاطها الحقوقي الذي وطنت نفسها عليه هو عملها الذي يحيا به، وما وقع بها ليس بسيطا ولا هينا، فقد تعرضت لطعنات غادرة من أعز الناس لها، ومن زوجها الذي جازاها جزاء سنمار فضلا عن صديقة صباها.

دعمها، إنها الدكتورة أيام التي تستمد قوتها من شـــعبيتها العارمة، من الذين يهتفون خلفها، وصحت من أجلهم.

الرفض

في الصباح توجهت أيام إلى المؤسسة؛ لإجراء اللقاء الحقوقي، لم تلبث ســـوى لحظات حتى داهمهـا مجموعـة من الرجـال مرتـدون الزي العســـكري، لم يوقفهم توســـلها ولا تهديدها: العمل الذي تقومون به غير قانوني، من خولكم بهذا؟

ـ النيابة العامة.

ـ هاتوا تكليفكم.

ـ ستجديه هناك في النيابة العامة.

- إذن الرد سيكون في النيابة إن كانت هي من تقوم بواجبها دون تدخل أيادٍ خفية.

حملت العناصر معها ما شاءت من الاوراق، ثم قالت للدكتورة: وأنت يا دكتورة سيرفي النيابة بحضورك للمساءلة.

ـ هل لديكم طلب إحضار لي؟

- أجابها أحدهم بلهجة جافة ساخرة: معنا محضر جلبك إلى النيابة، وستجدين كل التصاريح المطلوبة هناك.

ـ إذن لن أحضر إلا بطلب رسمي.

- أنت حرة، إن لم يحصبرـــي فلا تلومن بعدها إلا نفســـك عنـدما يجلس على ســـيارة عسكرية.

- لن أســـاق كما تقولون، ولن أصـــعد ســـيارة عسكرية إلا بهمة مدعومة بإثبات.

- ألا يكفيك همة الحديقة؟

- بهرته أيام بحدة قائله: اســـكت، فتلك همة باطله، لن تغير من الحق شيئا، ولو ألصـقوا بـ مئات الهمم الجائرة، أو وضـــعوا الباطل مكان الحق، والحق مكان الباطل، فلن يتحقق بيء، أو تصـــلوا إلى بيء، فالحق باق وبابت ثبوت الجبال، والباطل وأهله إلى الزوال.

قال الوكيل: يبدو أنك لن يأتي برضاك.

حينئذ اندفع شامل قائلاً بحدة وغضب: لن يأتي إلا بطلب إحضار، ومن يقترب منها سيكون نهايته وبداية قانونه الذي يأتي به من سيده لا من القانون العادل الذي يساوي بين الناس، فلست أنا وحدي من سيقف ضد ذلك، وإنما كل الناس سيرفض هذا العمل الذي تقومون به، إنكم بهذا تقصدونها، وتلبسونها ثوباً باطلاً.

تدافع العسكر حول شامل، فتدخل عزم يسحب أخاه قائلاً: اتركوه، أتريدون جعل

القانون في البلد مصـــيدة تصـــيدون بها من تشاؤون.

بعد ســـاعة يجمع في مبنى النيابة جمع من الحقوقيين، وخارجها جمع من الناس الرافضـــة حجز الدكتورة أو حبسهـــا، وكانت الجموع يردد عبـارات الرفض، ويهتف ببراءة الـدكتورة ، فجرجت قوات من الامن والبيرـطة لتفريقهم، وهاج الناس أكبر، وكادوا أن يشـــتبكوا معهم لولا منـاشـــدة الدكتورة لهم بالهدوء قائله: اهـدؤوا، إياكم أن تقعوا فما لا يعود علينـا إلا بالاوجاع، فكل يهور ســـيجر إلى يهور أعنف منه، والخطأ ســـيجر إلى أخطاء أدهى وأمر، وبلادنا بحاجة إلى رزانة عقولكم وسعة صدوركم،

فوطنا أغلى ما يملك، فلا نعرضه للخراب، فكل ما سيصيبه بيهوربا سينعكس علينا سلبيا، ولن يصلح حالنا إلا بصلاح بلدبا، فأبا واحدة منكم، وأنيم كل الوطن، فلا تضيعوا البلد وأهله، وبعد ساعات سأغادر النيابة؛ لابي لم أرتكب جريمة، أو أقيرف ذنبيا، فأبا بريئة كبراءة هذا الوطن.

وبعد تدخل من وكيل وزارة العدل ووزارة حقوق الإنسان يم الإفراج عن الدكتورة أيام، وخرجت رفقة الوزيرة وأحد مساعديها، وخرجت وهي يحيي جماهيرها الأوفياء.

البراءة

في اليوم الثاني أعلنت أمام مؤتمرها الصحفي في المؤسسة، وبعد انتهائها منه، عقدت لقاء مع إحدى القنوات الحقوقية، وبينما هي كذلك حضرت صديقتها تسامح، ومن خلفها أحلام التي لم تقدر على منعها وإخراجها، وعند وصولها أطرقت رأسها، ثم قالت أمام: لو سمحتم أعطوني قليلاً من الوقت أكلمها، ثم نواصل اللقاء.

إلا أن تسامح سبقتها وهي تصيح باكية: لا .. لا يا أمام، لا بد أن تسمعيني، ويسمع أهل الإعلام، وكل الناس أنني بريئة كما أنك بريئة

من اليهمة الملفقة، أبا ما كنت عارفة بما رسموه لك.

نظرت إليها أيام بعتب، وبنبرة جافة، وخاطبيها: وأين كنت حينئذ؟

- كنت غائبة عن وعيي، لقد أسقوني مادة منومة.

- كيف ذلك؟

- بعينين ملأيها الدموع، وتوسلات حزينة: أيام، صديقيتي، فوالله إني لصادقة، صديقيتي، فأبا لم أبعك، لم أخن صداقتي، ولن أكون

خائنة، فصـــحبتي لك يمتد بسـنوات بعمر زواجي بهذا المجرم.

يا أيام إن تسامحي لن تفعل بك هذا، وسأقول الحق مهما كلفني من ثمن، إن زوجي وأخته سـبب كل ما حصـل، والبهمي هو من أدار العمل عن بعد.

بعد ذلك استمرت في الإجابة عن الأسئلة الموجه لها من قبل الصـحفيات والمذيعات، وكان اللقاء حينئذ مباشرا. سمع الناس كل ذلك، فكان أكبر دليل على براءتها.

الاتصال

بينما كانت أيام في مكتبها جاءها اتصال:

ـ الدكتورة أيام؟

ـ نعم، من معي؟

ـــــ ليس هناك من داع لمعرفة المتصل، لكن عليك أن تعرفي القصد من هذا الاتصال.

ـ ما هو؟

ـ ابتعدي.

ـ عفوا.

ـ قلت ابتعدي.

هزت رأسها قائلة: إذن أنيم مرتكبو الجريمة.

- نعم، لقد عرفت من نحن.

- إذا قلت لكم أمركم مرفوض؟

- ستجنى على نفسك وبالا، هذه المرة ستكون روحك، سبريلك من السّاحة والحياة معًا.

- لا أظن أن إزالتي صعبة عليكم إن أردتم ذلك.

- بضحكة متقطعة: الحمد لله، لقد عرفت ذلك.

- نعم، أعرف، وأعرف ما لا تعرفونه أيضًا.

- بنبرة متعجرفة: وما هو ذاك يا دكتورة أيام عبد الباقي؟

- ما لا تستطيعون انيراعه هو ما يريده الناس أصحاب القلوب المكسورة والنفوس المهورة التي سيكشف أقنعتكم المزيفة، وياكل أكبادكم التي بمت من الحرام، ستحرق مجدكم المزور، وستعرف الناس من أنيم ومن تكونون، ولن تكونوا سوى رماد تذروكم الرياح على رؤوس الجبال.

- إذن فانتظري منا ما وعدباك به.

- أبا منتظرة، ولن يهنؤوا بعيش ما دميم مصرس على أكل حقوق الناس، وما أبا إلا صوت من تلكم الكم الهائل من الاصوات التي لن يجرس بمويتي، بل سيرداد إصرارا إلى

إصرارها، ويمسكا بحبها في وجه كل الظلمة والطواغيت.

الكمين المجرم

في صحى اليوم الثاني في المؤسسة، كانت أمواج وأحلام في انتظار الدكتورة، ولم يمر سوى لحظات حتى أقبلت، فقعدت على مكتبها، وقالت أحلام بعد ذلك:

هل سمعت الخبر يا دكتورة؟

أيام: أي خبر؟

- خبر المقبرة الجماعية التي خارج المدينة.

- نعم، سأذهب أولاً للتأكد من ذلك، ثم عمل اللازم.

- يا دكتورة، يقولون إن الجثث التي في المقبرة يأتي بها سيارات إسعاف تتبع مستشفى الوفادة.

- لا نستعجل بالحكم على الآخرين، فكل سيظهر على حقيقته، وسيعرف الناس جميعاً من يقف وراء ذلك.

أمواج: هل هذا الخبر صحيح أم أنهم يجروننا إلى مكانهم؟

صمتت قليلاً ثم قالت: الله أعلم.

أيام: كل ذلك سينكشف للرأي العام بعد التحقق من صحته.

أحلام: يا دكتورة، لا تذهبي وحيدة.

أيام: سأذهب رفقة عزم.

أحلام: أخاف عليك يا دكتورة، لعلهم يقصدونك؟.

خرجت أيام رفقة أخيها، وبعد أن وصلا إلى المكان برلا من السيارة، فنظرا في المكان لكنهما لم يجدا ما يدل على مقار، نظرا هنا وهناك، ثم مشيا خطوات إلى الإمام حتى رأى عزم تبة

فيها بعض من ركام، فذهب إليها، ووقف ينظر فيها، ثم قال: تعالي هنا يا أيام ربما تكون هذه المقبرة.

اقتربت أيام منه حتى وقفت بجانبه، رأيا أكوامًا أخرى، وظلا ينظران حتى يحققا من ذلك، فقالت أيام: إنها المقبرة المقصودة.

- والعمل؟

- سنعود حالا إلى المؤسسة؛ كي نجهز اللازم من عمال الحفر، وأطباء شرعيين، وفريقًا من الحقوقيين؛ ليقوموا بعمل التحقيق.

سكتت أمام قليلا وهي تنظر في الركام الظاهر، ثم قالت: هيا بنا إلى المؤسسة.

في أثناء سير السيارة فوجئا بسيارة أخرى يراحمهما من ناحية اليسار، فظهر فيها رجل مقنع في الجانب الآخر، وأطلق عليهما وابلا من الرصاص، ولم تغادر السيارة حتى أغرقهما في دمائهما.

وما إن عدت الساعات الأولى من الليل حتى اشتعلت النيران في مبنى المؤسسة.

مر بهر على الحادثة الاليمة التي أودت بحياة عزم وإصابة أيام بثلاث رصاص موزعة بين ذراعها وكتفها الأيمن، ولا يزال المظاهرات والاحتجاجات الغاضبة والوقفات اليومية مستمرة أمام المرافق الحكومية ذات الصلة، فضلا عن المظاهرات الطلابية في الجامعة، وتوقف الدراسة فيها رفضا لقرار الإقالة الباطل، ولم يوقفهم عن ذلك ما طلبته منهم الدكتورة أيام في رسالة وجهتها لهم: "نحن طلاب بناء لا هدم، فالزموا البناء بالقول، والاعتراض بالكلمة والرأي، وما سوى ذلك سيؤدي إلى العكس الذي ليس في صالحنا جميعا".

القرارات

تمكنت أم سعد بعد جهد أن يجلو بالرئيس أثناء جلوسه في حديقة القصر الغناء، واستغلت خروج الاهل، فافترشت الارض تحت قدميه: سيدي أبا ما جئتك طالبة مال أو جاه، وما جاء بي هو قضية ابن ابنتي المتوفاة، وقضية ابن جاريتي وصديقتي، وقضية أخرى بخصوص شابين آخرين على أمل إنصافنا سيدي الرئيس.

- ما بهم يا أم سعد؟

- سيدي نحن رعيتك، وسيسألك الله عنا يوم الدس، إن شباب المدرسة التي يدرس بها ابني يختفي منها طلاب من حين إلى آخر دون أن يعرف مصيرهم أأموات هم أم أحياء؟ وفي المدينة رجال يعملون في الدولة يقفون وراء ذلك الظلم.

تغير وجه الرئيس، فقال: أفصحي يا أم سعد، وأخبريني من يكونون؟ أظنك تعرفينهم؟

صمتت أم سعد وتلفتت، فقال لها: لا يخافي يا أم سعد تكلمي.

دفعت له بما كانت تخبئه في جيبها: سيدي هذه (السيديهات) وثقت أعمالا إجرامية

بالصـــوت والصـــورة لإباس متورط في فعل الفواحش بإبناء الناس، وأظنك يا ســـيدي ستعرفهم إنْ شاهدت هذه الإقراص.

أخذ مبها الاقراص المغلفة، إلا أن أم ســـعد تذكرت شـــيئاً فقالت: سـيدي، أريد إخبارك بإمر مهم.

- ما هو؟

- الدكتورة أيام عبد الباقي.

- من هي؟ وما بها؟

لزم الرئيس غرفة مكتبه وقتاً طويلاً، بعد ذلك شـــاهد ما في الإقراص من إجرام

وفواحش، يمكن من المتعرف علهم إلا أنه شغل باتصال مع أحد المسؤولين وهو على سرير إجرامه، لم يستير نفسه بعد وهو يقول في اتصاله: أفرغوا المملوء الذي على الماء لتملؤوا به المفروغ، وهو مسيروع في إحدى عسيرـ، إحدى عسيرـ سبعة حول السبع تكون لنا الغابة كاملة.

يجمع في ذهن الرئيس جمله فهم معناها وهو ما اضطره إلى عقد الاجتماعات الطارئة.

في اليوم الثاني سمع الناس عبر وسائل الإعلام عن الاجتماعات الطارئة للرئيس مع القادة العسكريين والامنيين.

بعد ساعات أعلنت قرارات، رحب بها الناس ترحيبا حارا.

القرار الأول: عزل وزيري العدل والداخلية، وإحاليهما للتحقيق، وإحاله كل المسؤولين العسكريين والأمنيين في المدينة للمحاكمة.

القرار الثاني: عزل وزيري التربية والتعليم العالي، وإحاليهما للتحقيق مع مدير مدرسة الغد الباسم وطاقمه الإداري.

القرار الثالث: تعيين الدكتورة أيام عميدا للجامعة مع رد الاعتبار لها من قبل إدارة الجامعة، وتعيينها مستشارة حقوقية بدرجة وزيرة، كما نص على بناء مؤسسة الطرح النابض

على نفقة الدولة؛ لتكون مؤسسة حقوقية مستقلة، لها كامل حقوقها واستقلاليتها، وتجريم كل من يعتدي عليها من المسؤولين أو غيرهم، وأن يتم بناء المؤسسة على أرضية مدينة العزم الجديدة، وتبنى فيها جامعة الدكتورة أيام، وأن تتحمل وزارة الصحة الإشراف المباشر على حالة أيام الصحية، وفتح تحقيقات واسعة حول قضية الطلاب بإشراف لجنة من رئاسة الوزراء.

الصمت يتكلم

توجهت أيام إلى أمها لتعزيها بمرور خمس أيام على استشهاد عزم، إلا أن الأم نظرت

إليها بغضب، ثم انفجرت قائلة : أنت .. أنت سبب موت عزم.

أيام باستغراب سائلة: ما بك يا أمي؟

- بغضب أشد: أنت من قتلته، هذه نتائج تصرفاتك الطائشة، أخذته من بيننا وهو ساكن وادع.

ـــــ يا أمي، أنت يرمينني بجرم من فعل به ذلك.

- تنظر في وجهها، فتصيح باكية: أنت سبب ما جرى.. أنت نعم أنت، هيا اخرجي من هنا، لا أريد رؤيتك.

هنا انفجرت أيام باكية: أتظنين أبي غير حزينة عليه؟! لا يا أمي، أبي محتسبة، يا أمي، عزم لم يمت، عزم حي في قلوب الناس، الناس التي تشيد بإقدامه وتضحيته، هذا العمل الذي ارتقى به سلم الإنسانية، وخلده في سجل الخالدين

- لقد قتلته، يم جئتني بكلام تظنين أبي سأصدقه.

- سواء أصدقته أم لا، ستصدقينه في يوم ما، فعزم لولا عمله في المجال الإنساني ما هتفت الناس باسمه، لقد مات و هو يدافع عن حقوقها، يا أمي من كان عمله في خدمة الناس

فأجره عظم، كما يقول الرسول -صلى الله عليه و سلم-: (من مشى في حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة، وكفر عنه سبعين سيئة، فإن قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وإن مات في ذلك دخل الجنة بغير حساب) ألا يكفي يا أمي حصول عزم على هذا الشرف؟! شرف الدنيا وشرف الاخرة، يا أمي، عزم مات وهو يؤدي عملاً يخدم به الناس، ويدافع عن حقوقهم.

- تمنيتي بكلامك لاغفر لك، لكني لن أغفر لك ذلك مهما قلت.

- أبا لا أمنيك كما تقولين، وما قلته يعد حقائق ثابتة، ولو قدر لي أن مت في الحادثة دون عزم أكنت ستقولين له ما قلته لي؟ يا أمي، إن للعبد عمرا مقدرا، لا ينقص ولا يزيد، فلم تعيرضين على قدر الله؟! وعزم إن لم يمت بهذا السبب سيموت بغيره، ولن تستطيعي حينئذ رده أو منعه (إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)

- صرخت باكية: اخرجي من هنا، لا أريد رؤيتك.

انتقلت أيام بعد ذلك إلى بيت أخيها، وفي المساء دخل عليها شامل قائلا: إن وفدا نسائيا فهمن وزيرة الصحة وحقوق الإنسان وشخصيات أخرى سيهنئنك غدا لتعزيتك بمرور خمسين يوما على استشهاد عزم.

قاطعته وهي تهز رأسها: لقد فهمت ما تود قوله، لا تخف عندما يحضرن النسوة سأكون في بيتنا.

استقبلت أيام الزائرات في بيت أخيها بمعية أخيها وبنت خالها وزوجة أخيها عزم، فصافحت وزيرة حقوق الإنسان بحرارة، ثم

أحلام التي عانقها عناقًا أخويًا حارًا يم بقية الزاوية.

راسل يتطفح

وصل راسل إلى المؤسسة، فلم يجد أحدًا سوى جلال وحايم، ورأى ظلمة المؤسسة ووحشتها لغياب أيام، فسأل عنها، فقيل له: إن الدكتورة خارج البلاد ربما.

راسل: كيف لي أن أصل إليها؟ أو الاتصال بها؟

أحد الموظفين في المؤسسة: لن تصل إليها، ولن تتصل بها.

- لماذا؟

- لا أعرف.

- لكني زوجها، ولا بد أن أعرف مكانها.

- عفوا أنت طليقها، ولستِ مجبرًا للإجابة عن أسئلتك، وما قلته لك يعد تجاوزًا ميت، لذا أرجو منك أن تدعني في شأني؛ فلدي أعمال كثيرة.

لجأ راسل إلى أحد أصدقائه الصحفيين طالبًا منه المساعدة، فقال له: إن الدكتورة محاطة

بحراسة مشددة، ألم تسمع من وسائل الإعلام عما وصلت إليه؟! الحكومة قدمت اعتذارا لها، وتم ترقيتها إلى درجة وزيرة ومستشارة عليا يحاكم وتسقط كل من يقف في طريقها، عضوات الحكومة وحرم رئيس الحكومة يقمن بزيارتها إلى المستشفى كثيرا، أضف إلى علمك أن وزيرة الصحة هي من تتابع حالتها بحصيا، فضلا عن مستجدات أخرى لا داعي لذكرها الان.

- يا صديقي سمعت عنها كثيرا من غيرك، فالمهم إخباري بمسكنها.

- أبا لا أعلم مكانها بالتحديد، لكني سمعت أنها في قريبها.

ـ إذن سأذهب إليها.

يسحبه من طرف ثيابه قائلاً: إلى أين؟

أتظن أنك ستدخل عليها بسهوله؟ إنها أشبه برئيس محاط بحراسة مشددة.

- ماذا أفعل؟

- لا أعرف ما الذي يجب عليك فعله، لكن عليك بإخبها شامل، فهو من سيوصلك إليها.

ـ ميردداً: ولكن..

- جرب أولاً، فشامل رجل طيب ومتفهم.

اللقاء غير المتوقع

التقى راسل بشامل، وسأله عن أخته، فقال: آسف، أنا لا أعرف مكانها.

- لا أعتقد ذلك، فأنت الشخص الوحيد الذي يعرف مكانها.

- ما فعلته بها ليس قليلاً حتى يأتي اليوم بكل برود لتعتذر عنه.

- أرجوك أن تتفهم ما أبا فيه، فوالله ما فعلته بها كان لأجلها.

هز شامل رأسه هازئاً ومتعجباً.

خلا شامل بليالي قائلاً لها: إن راسل زارني اليوم...

أيام: قاطعته غاضبة: ماذا يريد؟

- يريد استرجاع أيام.

- بكل بساطة ووقاحة يريد استرجاعها، وأنت ماذا قلت له؟

- ما بك يا أختي؟ هي ما زالت زوجته.

- على الرغم من كل ما فعله بها لايزال زوجته.

- لا .. لكن ..

- بحدة: ولكن ماذا؟ تتلاعبون بمشيئة الله وقلوب النساء ومشاعرهن، ثم تعودون كما لو أنكم لم تفعلوا شيئاً.

- يا أختي، ما بك؟ يمهلك، لا تظني بغيرك ظن السوء، ولا يرم الاحكام جزافاً وأنت لم تعرفي بعد الدوافع والاسباب.

- ما فعله بها يجاوز قلبها وكرامتها. أعرف ذلك، لكن هل عرفت الاسباب؟

ـ يا شامل، لا تدافع عنه.

- لا يا أختي، لا أدافع عنه، أيام أختي وغالية علي، إلا أن مبرراته جعلتني أصـــدقه، وأميل لأن يتصالحا.

أرادت أن تتكلم بغضب، إلا أن شامل قاطعها برقة: لا تنسي يا أختي أن أيام يحبه.

صمتت ليالي، ولم تتفوه بكلمة؛ لأنها تعلم ذلك جيدًا، وبعد أن استوعبت قوله، قالت بلهجة المتحفظ وهي تهز رأسها: كانت تحبه.

- لا يا ليالي، من حِب ليس من السهـل عليه أن يكره بهذه السرـــعة، ومن خلال صحبتي

لأيام عرفت أبها يحمل له وفاءٍ كبيرا ومودة راسخة، وإلا ما كانت تحملت كل ذلك الاذى، وصبرت ذلك الصبر الذي لا يحتمله أمرأة أخرى وهي في مركزها ومكانيها، ولو لم يكن هو من خرج من البيت بنفسه ما يركته ولا أخرجته.

- أيام رغم عنادها إلا أبها أصيله وكريمة الطباع، أميرج ذلك بما اكتسبته من طباع عمتي فائق، وبالتأكيد ستسامحه.

- نعم، فعمتي فائق يرك في أيام ما لم يبركه أحد فيها.

دخل على أبام أبوها يميتي_ على عكازه، وعند رؤيتها له استعدت لتنهض، إلا أنه أشار لها بالجلوس، اعتدلت في مكانها على السرير، فجلس بجانبها، ثم قال: أبام.

قاطعته: يا أبتي، أعرف ما تود قوله، أرجوك يا أبتي.

- بل أرجوك يا ابنتي أن تسمعيني، أعرف أنك موجوعة منه كثيرا، لكن الرجل أقر بخطئه، وجاء اليوم معتذرا.

- لقد طلقني، وحياتنا الزوجية انتهت منذ فترة.

- لكن فترة العدة لم تنتهي بعد.

- أي أن زواجكما ما زال قائمًا

- يا ابنتي اسمعيني جيدًا، فأبا مقر أبي غضبتك مواجهه في البداية، ولا أريد أن أغضبك الان، لكنه يحبك كثيرًا، ويعزك كثيرًا، وها هو قد جاء معتذرًا، فلا تقسي عليه، وأنت الحنونة الرقيقة علينا جميعًا، فلا يحرميه من عفوك.

لامس كلامه شغاف قلبها، وهيج أوجاعها، فبرلت الدمعتين من عينيها، ثم قالت: أما بخصوص قولك أنك أرغمتني على الزواج به فنعم، لكني كنت وقتها أجهله، فقد كنت أحكم عليه من خلال أخيه ساهل، وبعدما عرفته

عن قرب أحببته حبا عظيما، ولا أنكر أن حبه لي فاق حبي له، لقد كنت له مطيعة، ولم أخالفه في بيتٍ طلبه، إلا أنه بعد ذلك طرأت عليه أفكار، وتلبسته وساوس أدت إلى تغيير طريقة تعامله معي، فكان يتعمد الإتيان بعكس ما أريده، لقد تعمد جرحي وإذلالي دون أسباب مقنعة، وصبرت على ذلك كثيرا وفاءٍ له؛ لعله يعود إلى صوابه، إلا أنه للأسف يمادى في غيه، ولم يراع ما كان بيننا من ود حتى وصلنا إلى هذه النهاية.

- يا ابنتي، اتركي كل ما قلته وراء ظهرك، اجعلي شيئا واحدا نصب عينيك وأنت في مكانتك وهيبتك هذه، لا تنسي أنك امرأة والمرأة مهما

بلغت فهي بحاجة إلى زوجها، وانظري إلى الحراسة التي يحوطك الان، وتتناوب على حراستك، ولو ملأت الارض حراسة، لن تعطيك الامان الذي يجدينه في ظل زوجك.

طأطأت أيام رأسها، فواصل الاب حديثه بنبرة حانية: يا بنيتي، أبا أب، والاب الذي يجاف على ابنته لا يهدأ نفسه أو يهنأ إلا إذا رأى ابنته في حمى زوج تستظل به، وتستقوي بظهره، يا بنيتي، المرأة ضعيفة مهما بلغت قوتها، قد تكذبين كلامي، وتستخفين به؛ لانك لم تعرفي مشاعر أب أحاطت رعايته بك وأختك، أبا لا أنكر أني غصبتكما، ولم أراع حقكما في الاختيار، وطغيت عليكما، ويجبرت

دون أن أعرف قبولكما من عدمه، فقد كنتما في نظري ليس أكبر من حمل ثقيل يجب التخلص منه فقط، وبعد أن ضعفت قويتي، وهدني الوهن، أبصرت ما عجزت قبل عن إبصاره، وها هو المرض يقتص لكما مني، ثم انفجر باكيا.

ياثرت أيام بكلامه، فسقطت دموعها، ثم أخذت يده تقبلها قائلة: لا يا أبي، لا تقل هذا.

وبعد يومين يحقق لراسل ما أراده، فوصل في ظلمة الليل رفقة شامل إلى أمام منزل ليالي حيث تقيم أيام.

استقبليهما ليالي بوجه مكفهر، ثم قالت: لا تفاجئها بدخولك عليها.

ثم أدارت وجهها وهي تقول: كفاها ما حصل لها بسببك، والآن يريد وصلها؟! لا أظن أنها سترحب برؤيتك؛ لأنها لا يريد رؤيتك بتاتًا.

رد عليها راسل باستجداء: ليالي.. ولكن...

- أنام لن تغفرها لك أبدًا، فأنت ذبحيها من الوريد إلى الوريد، هل تعرف معنى ذبحيها؟ كسرت قلبها، والقلب متى انكسر يصعب إصلاحه، وأنا أعرف أختي جيدًا، إنها امرأة عنيدة، يصعب عليك ترويضها، وإن

استعطفها بكلامك العذب، فالحب أنت من قتله، وقضيت عليه من داخلها.

- لكنها يحبني.

- كانت يحبك حبا جما، لكنك خنت ذلك الحب، وغدرت بها في قارعة الطريق، كسرت قلبها، وأهدرت كرامتها أمام الملأ، ولا تتعب نفسك، ولا يجعلنا بجسر ثقتها بنا، فلو عرفت أننا من دربا معك هذا اللقاء لقلبت علينا وجه المجن.

ـ هل ستساعدينني أم لا؟

- آه آه ! سأساعدك وأمري إلى الله، سوف أدخل إلى البيت، وأيرك باب الحوش مفتوحاً؛ لتدخل منه، ثم سأخرج من البيتا وأنت تدخل بعد ذلك علمها، لكن إياك أن تفاجيها بدخولك، أسبق دخولك باتصال.

اللقاء

مر وقت عصيب على قلب راسل وهو يدق أرقام الهاتف بس الحبيبة والرجاء، وتسارعت دقات قلبه.

رن هاتفها، فهز ســكونها، وتناولته لتقرأ الاسم فإذا هي راسل، نعم، إنه هو.

كيف لها أن يجهله، وهو محفور في ذاكرتها، فاهتزت مشاعرها، وهاجت عواطفها، إلا أنها لم ترد؛ فنفسهـــا الأبية حالت بينها وبين الرد، تركته رن إلى أن فصل من تلقاء نفسه، عاود الاتصـــال بها مرات ومرات، لكنها لم تســـتطع مجاوبته؛ ظنًا منها أنه يريد ابنه، ضـغطت بعد يرد زر اســـتقبال المكالمات، ففوجئت بـه يناديهـا: أيام أرجوك بالله العظيم لا تقفلي الهاتف في وجهي.

ما إن سمعت صوته حتى عصفت بها موجة عنيفة، فظلت واجفة ذاهلة، والقلب يدق في تسارع مجنون، أضاف قائلاً: أيام أجيبيتي ولو بحرف واحد.

اليرمت أيام الصمت، ولعظمة من سئلت به لم تقفل هاتفها، فعرف هو بعد ذلك أنها يريد سماع صوته، فواصل كلامه مستعطفاً: يا أيام، أنا مذنب، وأعيرف أنني مذنب ومجرم في حقك أيضاً، لكن لو عرفت السبب لغفرت لي ذلك، ولك أن تقولي في ما شئت، وأن تحكمي بما شئت، لكن لا تقصيني من قلبك، فأنا أحبك، وهذه هي الحقيقة التي لا تقدرين على إنكارها أو ردها؛ لأنها حقيقة يمحو

الرفض والقسوة، ولا يجفتني بصمتك، فالجفاء أفظع حكمًا، وأعنف ما أتلقاه منك، يا أيام، سامحيني، ولو أني لا أستحق مسامحتك إلا أن قلبك الرحب المحب هو أولى بالمعروف.

هدأ قليلًا، ثم قال وهو يبتلع أوجاعه: يا أيام، أنا مشتاق لك حقًا.

في الأثناء يهدج صوته، ولم يستطع أن يزيد كلمة، وفي المقابل هي كبتت نشيجها، فأقفلت المكالمة على إثرها.

وضعت الهاتف بجانبها، ثم رجعت إلى مكانها ساكبة دموعها بيبهيق، وبعد لحظات طرق الباب، فاعتدلت جالسة، وهي يجفف دموعها

ظانة أنه شـامل، رفعت رأسها ليرى من دخل علمها، فإذا هي يراه أمامها، قد يجلى بشـحمه ولحمه، بهضت من مكانها وهي لا تكاد تصدق ما يجري أمامها.

اقيرب منها يمسـح وجهها الجميل، ويحرك عواطفها المجبأة، فانصـبت دموعها صـبا، وانحدرت على خديها كالسـيل بلا انقطاع، ثم بعد لحظات اسـتقراء حزن، ونظرات عاتبة، تتذكر طعناته الغادرة، فتدبر وجهها عنه قائله: ما الذي جاء بك إلى هنا؟

- أبا لم آتي إلى امرأة حاقدة، وإنما جئت إلى أمام الذي قلبها أوسع من ذنبي.

- بأي صفة؟

- بأخذها بيدها قائلاً: زوجك.

- كنت زوجي، أما الآن فأنت طليقي.

- لكني اسيرجعتك، ومتمسك بك.

شد يديها وهي يحاول سحبهما مواصلاً كلامه:
يا أيام، لا تقسي علي، فيكفيني ما أعانيه.

عارضته بقوة: تتكلم عن القسوة، فتذكرني بأفعالك القاسية.

ـ تغيرت المواقف، وتغير الشكل والمضمون، أنا لا أريد غيرك.

– وأبا لا أريدك، فما أراه بعيني في عينيك يعارض قولك.

ـ خدعتك عيناك.

ـ كلا، فما يراه عيني دليل واضح على ما ذكرتِ.

شـــد على يديها مســـتعطفًا: إنه وربي لعهد جديد، وميثاق لن تندمي عليه أبدًا.

بضـــحكة خفيفة هازئة وهي تســـحب يديها منه: مستحيل! ليس لأنه مستحيل، ولكن لا رغبة لي في ذلك.

ابتعدت عنه قائلة: الجبر لا يأتي إلا مرة، والحب كذلك؛ لذا أرجو أن يخرج من هنا.

يقترب منها، يريد أن يتمسك بها قائلاً: لا، لن أتركك أبدا.

- وهي تدفعه عن نفسها: اخرج أرجوك.

اخرج، هيا اخرج، اخرج من هنا.

في الحال دخلت ليالي كي تفض خلافهما، ودخل خلفها شامل، قالت ليالي: دعها يا راسل، اخرج الان.

وسحبه شامل من يده قائلاً: هيا تعال معي.

وبعد ساعة دخل شامل على أبيه مجلس بجانبها قائلاً: أريد أن أخبرك أن الرجل الذي يريد شراء قطعة الأرض يستعجلك كثيرا.

ـ أي أرض؟

ـ أرض عمتي فائق رحمه الله تعالى.

ـــ هزت رأسها قائلة: غداً سنسافر إلى عند عمتي برجس؛ لنخبرها بذلك، وياخذ إذنها.

عمتي الام الحنون

في صبحي اليوم التالي كانت أيام عند عمتها برجس التي أمطرتها بالقبل وآلمت الترحيب، كانت سعادتهما كبيرة برؤية بعضهما، وبعد

ذلك جلستا على مقعد أسمنتي طويل تحت أشجار كبيرة ومتوسطة متناسقة، ثم قالت برجس لايام وهي تقدم لها كوب حليب طازج: الله وحده أعلم بمقدار شوقي لك يا ابنتي.

أيام: وأنا أيضًا يا عمتي، لكنها الدنيا. - اعذريني يا بنيتي، فالمرض قيد وصولي إليكم؛ لتعزيتكم بعزم.

صمتت أيام قليلاً، ثم شربت قليلاً من كوبها، ثم وضعته على الأرض، وقالت: يا عمتي، هل تتذكرين الميروع الذي كلمتك عنه سابقًا؟ هناك مشروع يريد أن يقيمه على نصف أرضية

عمتي فائق رحمه الله، وسيحرص آخر يريد استئجار النصف الاخر.

- لكني أوكلت لك حرية التصرف فيه كما يرينه مناسبا.

- يا عمتي، أريد أن أبني لعمتي رحمه الله مسجدا في قريتك، ويكون في المسجد غرفة لتعلم وحفظ القرآن الكريم، وأجعل على هذا المسجد إماما يتولى إلقاء الدروس والتدريس.

-كيف يا ابنتي؟

- نبيع نصف الارض، والنصف الاخر نؤجره، وأنا سأكمل المبلغ اللازم لبناء المسجد، أما

مصـــاريف التـدريس فســيكون من أجر النصــف الاخر من الارض كي تكون صــدقة جارية لعمتي فائق رحمه الله.

- تلالات عينا برجس بالدموع، وقالت بصــوت حزين: أنت أصــيله يا أيام، لقد صدقت نبوءة عمك فيك عندما قال: أيام فيها كرم الطباع، وحسن السجايا، هي الابن الذي حلمت أن تكون فيه ســعادتي، ففيها من الاخلاق ما لا يوجد في ألف رجل، وأتمنى من الله أن تكون ابنتي الصالح الذي لم أنجبه، وقد أوليته رعايتي، وأعطيته أبوتي، وأرجو أن يبرك لي ما تتذكره الناس لي بعد مماتي.

توالت دموعها، ثم انفجرت باكية، شـاركيها أيام دموعها، ثم مسـحت على طهرها قائله: لا تبكي يا عمتي، فعمتي رجل صـالح، وفيه كل علامات الصـلاح والتقوى والرضـا بالله، ومثله يهبه الله خيرا كثيرا، لا تبكي يا عمتي ولا يحزنني على رجل في الجنة إن شاء الله.

عمتي حفظ الله في نفسـه، فحفظ له في محياه وبعد مماته كل ماله، فكل الاراضي التي حول أرضـيته سـلبت بدون وجه حق إلا أرضـيته ظلت على ما هي عليه.

هدأت عمها برجس قليلاً من بكائها، ثم قالت وهي يجفف دموعها: أشكر صنيعك معنا يا ابنتي.

- لا تشكريني؛ فلم أقم بسوى واجبي.

- والله يا ابنتي في هذه الايام لا يقوم الناس بنصف ما قمت به معنا ولا ثلث منه.

- لا يا عمتي، وهذا أقل واجب أقدمه لكما، هل نسيت أن لكما علي ديون لم تقضى بعد، فلولاكما ما حققت شيئاً مما وصلت إليه بعد الله، فكل ما وصلت إليه كان بفضل عونكما وتشجيعكما.

في الاثناء شعرت بطعنة غرست داخلها، فقد ذكرها شكرها راسل فطأطأت رأسها، وقالت عميها: أكملي حديثك يا ابنتي لماذا سكتت؟ أتشكرس عملنا معك وهو لا يساوي مقدار صنيع راسل ووقفاته المبيرفة، إن كنا قد أعناك السنة أو السنتين، فهو قد أعانك سنوات، فبه يمكنت ما أردته، وحلمت به.

نكست أيام رأسها، فواصلت برجس كلامها بعتاب رقيق: ارفعي رأسك يا دكتورة عاليا، وتكلمي بصراحة وصدق أنك شاكرة وممتنة له، لماذا يا ابنتي لا يريدس الاعيراف بفضله عليك؟ يا أيام من لم يشكر النعمة فستكون عرضة للزوال، يا بنتي مهما حملك الغضب

على إنكار الجميل فلا تتبعيه، ومن لم يشكر الناس لن يشكر الله.

- يرفع رأسها قائلة: يا عمتي، أبا لا أريد ذكره.

- لا يا أيام، لا بد أن تسمعي ذكره، فذكره في نفسك جزء من الحقيقة التي لا تقدرين على تغييرها، يا أيام، أنت امرأة متعلمة، ويحملين بشهادة الدكتوراه تعليم الاجيال، وتربيتهم، وتعدين قدوة بالنسبة لهم، فكوني المرشد الذي يهدي ولا يظل، ومثات النساء -إن لم يكن الالاف- يسرن سيرك، ويقتفين أثرك، فكوني لهن المرأة المثلى التي تعمر بيتها، ولا يجربه.

رفعت نظرها إليها لتتكلم، لكن برجس سبقها قائلة: نعم يا بنيتي، المرأة الناجحة العاقلة تعمر بيتها، ولا يهدمه.

- يا عمتي أبا لم أهدمه، فقد حافظت على بنائه وأساسه، لكنه جاء على العمود وهدمه ظلمًا وكبرًا، تجليت عن كل بيتي، وظيفتي وعملي واتصالي بالناس بروًلا عند رضاه وطاعته وحبي له، لكنه أصر، وتعنت، يم يمادى، ويمادى.

هزت برجس رأسها بإجلال لما سمعته، وأضافت: نعم، وأبا أحبي ذلك فيك، وأستيهد به أنك تحملس قلبًا بابضًا بالصدق، عامرا بالمحبة والوفاء له ولكل الناس، وعقلا

مدركاً ومبصراً، لقد أطعته حباً ووفاء، لا خوفاً ولا قلقاً.

هيجت كلمات برجس ما بقلبها، ونكأت جرحها، وقالت بنبرة باكية: لقد أحببته يا عمتي، فصبرت على غضبه، وصبرت على هجره، كسر قلبي، وحطم نفسي، ودعاني إلى حفل زفافه فلبيت دعوته، ثم جاء بها إلى بيتي، ثم قضى على ما كنت أعده مستحيلاً، ثم جاء بورقة الطلاق باكياً وتوثيقاً للفضيحة التي رسموها لي، فماذا يرجى منه بعد هذا يا عمتي؟! يطلقني في ساعة كنت فيها بأشد الحاجة إلى وقوفه بجانبي، كنت أريده أن يدافع عني، لا أن يهمني، ويثبت بطلاقه إدانتي بالفضيحة.

- كل ما فعله يا أيام كان لأجلك، والله لأجلك.

سالت دموع أيام، وتعالى نشيجها، فقالت لها عميها: لا يا دكتورة، أنت أرفع وأقوى من أن تبكي.

- أبا لا أبكيه، ولكن أبكي نفسي ــ وقلبي الذي أحب بصدق بعد شدة كره له ولأهله، لقد خيبت أمل المراهنين على ألا يستمر زواجنا كثيرا، ولكن مع السنوات خاب رهاني مع نفسي ــ، وبعد أن راهنت عليه كان الأولى به ألا يجنني أو يكسر قلبي.

- لا يا أيام، ما خاب الرهان، وما خسرت أبدا، وراسل ما خانك إلا لأجلك.

تواصل برجس: يا أيام، يا من أحببتها صغيرة، وتعلقت بها كبيرة، لا يجسرني زوجك، فلا بشهادة ولا منصب ولا الوسام الذي سيقلدونك به بأعلى أو أرفع لك من وسام الوفاء لزوجك، ثم يهمس لها بحنان وعطف: يا حبيبة قلبي يا أيام، هل يحبينني ويحبس عمك فائق؟

- يرفع رأسها وهي تجفف دموعها سائله: وهل لديك شك في هذا؟

- لا، لكن أرجوك فعمك فائق يريد أن تبدي له بعضاً من الوفاء، ومنه وفائك لزوجك، إن عمك كلمني بكلام لم أفهمه في إحدى رؤياي له، فقد رأيته غير راض عما يجري بينك وزوجك،

وأرجو من الله يم منـك أن تعملي على أن يكون راضيا وهانئا في تربيته.

- يا عمتي، لم يكن في قلبي جرح واحد وإنما جروح، ولم يحدث خطأ واحدا وإنما أخطاء كثيرة تعمدها بكبر.

- يا بنيتي الحبيبة، إن كمال رجاحة المرأة يظهر في بيتها، وتظهره مع زوجها، فأنت الدكتورة أمام التي تفخر بها كل النساء، فلا تسقطي هذه الهيبة بإصرارك على ما أنت عليه.

- أبا لم أقصر في ذلك يوما وأبا في بيته، وكنت له كما أردت مني أن أكون، لكني الان طليقته، ولم يعد هناك بيتٌ يربطنا ببعض، فأظن أن

مثل هذا الكلام لا طائل من ورائه، ولا فائدة منه.

- لا يا ابنتي، فراسل يحبك كثيرا.

- بوجع وهي يهز رأسه: الذي يحب يا عمتي لا يجرح، ولا يوجع، ولا يهون عليه الايام والسنوات التي بينه وبين من يحب.

- يا بنتي، أبا لم أدرس، ولكن يجارب الحياة والممارسة أخرجت مني مجربة، والمجرب خير من المتعلم، يا بنتي لا تضيعي زوجك، فإنه متمسك بك.

- أبا لا أريده.

- لا يا ابنتي، العثيرة لا يهون إلا على اللئيم.

- ها أنت قد قلتها، على اللئيم وقليل الأصل، أليس كذلك؟

- يا بنيتي، احسبها بروة عارة، فهي تصادف أكير الرجال، فالكريم يجفها، واللئيم يظهرها.

- الحمد لله، لقد قلتها مرة أخرى.

- لا، فراسل لم يتصف باللؤم منذ أن رضيت بك زوجة، لقد صبر واحتمل وأنت رافضة له وكارهة، وعلى الرغم مما جرى، كان متمسكاً بك، ومدافعاً عنك، وما فعله لم يكن إلا لأجلك، يا أيام، راسلا يحبك، بل يقدسك.

انفجرت أيام بالبكاء، ثم قالت: لقد خانتني يا عمتي، أتعرفين الخيانة ووجعها؟

- اعلمي أنه ما خانك إلا وفاء لك.

- لقد صبرتي يا عمتي على وجهي أكثر من مرة، فعل كل ذلك بتبجح، فأخفيت ذلك عن ابنتي وإخوتي، وطلبت من شامل عندما عرف ألا يتدخل بيننا، وألا يكن معي ضده، فهو خصمي أبا وحدي فقط.

اشتدت بي البكاء، فاقتربت برجس منها أكثر، واريحت أيام على صدرها تسكب دموعها الغزيرة، وبعد أن هدأت من بكائها قالت وهي تطبطب على ظهرها بحنان: أنت أصيلة يا

أيام، فالمرأة الصالحة يجبّ زلات زوجها ليس خوفاً وإنما طاعة ومحبة.

ظلتا على ذلك حتى اعتدلت أيام في جلستها وهي يجفف دموعها، فقالت برجس بعد ذلك: أيام عديني بالصلح معه، فو الله لو كنت قادرة على السفر لذهبت معك، وأصلحت بينكما.

- هزت رأسها، وبهدوء قالت: لا يا عمتي.

- أرجوك يا ابنتي، فبالله وبقدر حبك لعمك ووفائك له أوصيك براسل خيراً، عديني بذلك يا أيام، ولا يجيئ رجائي فيك.

- لا أعدك.

- أيام..

- لا أعدك بشيء يا عمتي، لكن دعي قدر الله يصبّ بنا إلى حيثما يريد.

بعد ساعة من سفر أيام اتصل بها راسل: ماذا فعلت يا عمتي معها؟

- أنت أنت المذنب، لقد خيبت أملي فيك وأمل المرحوم، لقد كان يقول: راسل أنسب زوج لأيام، وأيام هي الأنسب له، كأنهما خلقا لبعضهما، وكنت أقول له كيف يكون ذلك وكل واحد منهما في وادٍ، وأيام ليست راضية بالزواج؟! قال لي: إن هناك صعوبة لكنهما سيتجاوزانها عندما تتعرف أيام على راسل

عن قرب، وكل هذا الكره سيتحول إلى حب عظيم يستحيل موته، لكنك اليوم ارتكبت في حقها جرماً عظيماً وجرحاً غائراً، أتظن أنه سيضمد بهذه السرعة؟ اصبر، وحاول، ثم حاول، ثم حاول.

- إنها تعرض عني يا عمتي في كل مرة حاولت الاقتراب منها، وتقفل في وجهي باب الرجاء والتوسل.

- اصبر.

- إلى متى؟

- إلى أن تداوي جروحها.

- متى ذلك؟

- الأيام كفيلة بمداواة الجروح.

- لا أقدر على ذلك، فالصبر يقتلني.

- اصبر، واصبر، ثم اصبر وما صبرك مع صبرها بيتيء يذكر.

- إلى أين توجهت؟

- إلى بيتها.

الأوسمة

وصـــلت أيام إلى الياقوتة، فدخلت مبرلها، وخلفها شـــامل يحمل حقيبتس، وابيها فائق خلفهما، واستقبليها ليالى البيت وصلت قبلها، وقبليها على خديها قائله: حمدًا لله على السلامة.

أيام: الله يسلمك.

على أقرب كنبة جلســـت متثاقله يجلع عبها أغطيها، وجلست ليالى إزاءها وهى تسحب فائق إلها، وبعد لحظات وصل راسل الذي جاء من باب الحديقة، وما إن رآها حتى يهلل سعيدًا جدًا، فقال مرحبًا: حمدًا لله على سلامتك.

ابتلعت أيام ما سمعته، وشعرت بنار ذلك في أحشـــاءها، لكنها تجاهلت ذلك حفاظاً على ثبايها، وكأنها لم تسمع شيئاً، وهي تعرض بوجهها عنه همت بالنهوض متوجة إلى غرفتها قائلة: ليالي، ســـأدخل الغرفة لاســـترجي قليلاً فلا تسمحي لأحد بإزعاجي بدخوله علي.

بالم راسل ما سمع؛ لأنها تقصده بكلامها، وجلس مطرقاً، ثم سحب إليه ابنه، وبدأت نفســـه بتذكره وصية عمته برجس (اصبر واصبرك بأعظم من صبرها)

بعد لحظات هزته ليالي بقولها: أيام صـــعبة أحياناً وعنيدة جداً، لكنها طيبة.

بعد يومين أقيم لها حفل استقبال وتكريم في مبنى الحكومة بحضور شخصيات نسائية كثيرة من الحكومة والقطاع المدني، وبعد ذلك قلدها الوكيل الاول في الحكومة وسام الشرف والوطنية نيابة عن رئيس الجمهورية، ثم توالى تقليدها أوسمة أخرى من وزارة حقوق الإنسان والمرأة والمجتمع المدني.

في اليوم التالي وصلت أيام إلى الجامعة، وما إن وطأت بابها حتى فوجئت بالورود والرياحين تلقى عليها من كل جانب، فأعلن في الجامعة ساعتئذ عن احتفال واستقبال طلابي جامعي كبير رعته إدارة الجامعة، حييهم أيام بامتنان عظيم، ثم قالت: أبا في الحقيقة أشد

شـوقًا إليكم، وأكبر حنينًا للجامعة التي لم تكن بسواكم، فأنتم مستقبل الوطن ورجاؤه المنتظر.

في المساء وصلت مبنى المؤسسة الجديد، وتم استقبالها استقبالاً كبيرًا، تلقيها أحلام باليرحاب والقبل الحارة، ومثلها أمواج وبيرى، ورحب بها جلال وحاتم الذي قال: لا نجد تعبيرًا يوفي الحق حقه إلا أن نقول: أدامك الله فجرًا وتاجًا على رؤوسنا.

تعالت أصوات البقية باليرحاب، فقالت: أشكركم جميعًا على صدق مشاعركم ووفائكم لهذه المؤسسة ومبادئها، وإن كانت المؤسسة قد

حققت أهدافها، فقد كان ذلك بكم، فلولاكم ما بقت ولا سارت.

مرامي ليالي

في صباح اليوم التالي رأت ليالي أيام بوجه مبرق فياض، فاستبشرت بذلك، وانتظرت حتى انهت من وجبة الإفطار والتنظيف، فاستأذنت من أيام بزيارة أم أريج في بيتها، وأنها ستأخذها معها بعد ذلك إلى السوق لبعض الاغراض، وأخذت معها فائق، فقالت لها أيام: لا تتأخري كثيرا.

بعد مرور قليل من الوقت جلست أيام على كنبة شبه مسيرخية تقرأ في كتاب، ولم تشعر

بعقارب الساعة إلا وهي قريبة من الساعة الثانية عشرة ظهرا، فهمست في نفسها: لقد تأخرت ما ليالي كثيرا.

في الاثناء فتح باب المنزل، فإذا هو راسل عائد من عمله، فتمتمت: لماذا عاد مبكرا؟

أشرق وجهها، ثم حياها، وقال: أنام.

نهضت من جلستها تاركة الكتاب على الطاولة وكأنها لم تره أو تسمعه، فتبعها وهي تخطو باحثة عن تلفونها، فبادرها بعد أن التقطه من الكنبة: ها هو تلفونك.

أخذته بهدوء ويجاهل له، ثم ابتعدت عنه متصلة بأخيها التي قالت لها: إنها في ضيافة أم أريج، لا تنتظريني.

وهزت أمام رأسها قائلة: من عيوني يا ليالي.

رفعت بعضًا من شعرها الذي تدلى على مقدمة وجهها ببطن كفها، ثم توجهت نحو الحديقة.

وبعد مرور ساعة دخلت المطبخ تعد طعام الغداء، وقالت في نفسها: لقد فهمت ما رميت له يا ليالي، وهزت رأسها، ثم توجهت نحو الثلاجة، فتحتها ووقفت تنظر ما فيها، ثم أخذت تخرج من رفوفها ما تحتاجه للطبخ،

وضعت كل بيتٍ على الطاولة لتخطو نحو الأوانٍ، وبينما هي كذلك إذ ينبري راسل هدوءها بسحبها من يديها إليه، لم تنتبه لذلك فقد كانت عيناها على ما في يديها، ولم تشعر إلا وهو يقربها إليه، فاجأها بذلك، فهاجت أوجاعها، واعتصرها آلام الجيانة، فدفعته بشدة قائلة: ابتعد عني، فإياك أن تعيدها مرة أخرى، هيا اغرب عن وجهي.

خرج بعد ذلك، وبعد قليل من الوقت أطل عليها وهي منشغلة، فأراد أن يعيد الكرة إلا أنها انتبهت له، فتظاهر أنه يريد شيئاً آخر، فجلست أمام الطاولة، فأياها بغتةً يطوقها، ويقبلها: سامحيني يا أعز الناس.

- بهرته، ودفعت به بعيدًا: ابتعد عني، ابتعد عني وإلا

- يهدئها: حاضر .. حاضر، ثم خرج بعد ذلك.

التأم شملهما على المائدة بعدئذ، فوضعت أمامه كوب ماء فاتر، وقنينة ماء باردة، ثم قالت بهدوء وهي تنظر في المائدة: اشرب من هذا الذي أمامك.

- لماذا؟

- إنه ماء فاير، فلا تيرب من ماء القنينة البارد.

دب في داخله السرور كونها يمنع عنه الماء البارد بسبب حساسيته، فأيقن أن أيام بدأت تلس، نظر إلى مائدة الاكل فرأى الصنوف التي طبخيها، فكانت الصنوف التي يفضلها، وكابها بطبخها خصته منتقية ما يحبه.

بعد أن تناولا أكلهما بصمت أقسم أنه من سيقوم ببقية عمل المطبخ طالبا مبها الراحة.

لم يرد عليه بكلمة، ولم تغادر المطبخ في الوقت نفسه، فاشيركا معا في باقي العمل.

وبعد إنهائهما العمل أراد أن يعمل قهوة إلا أنها منعته قائلة: ليس الآن، وإنما بعد ساعة.

سر بذلك منها.

رن تلفون أيام بعد ساعة، فإذا بصديقها الأستاذة معيرة يجبرها أنها سيزورها بعد العصر مع بعض الزميلات.

وبعد أن أكملت المكالمة اتصلت بليالي قائلة: هذا يا ليالي ما قدرك الله عليه، يهربس من البيت، ياكدي أن ما في رأسك لن يتحقق أبدا.

ليالي: أعرف منك ذلك يا عنيدة، وأعرف أنك صعبة، وراسل رجل طيب.

بنبرة ساخرة: طيب مثلك، اسكتي عن هذا الكلام، كيف العمل الان يا طيبة؟

- ماذا بك؟

- سيأتيني ضيوف بعد ساعة، ماذا سأقدم لهن؟

- من هن؟

- زميلاتي في الجامعة.

- لا يجابي، لقد عملت حساب ذلك، فعملت لك حلويات وكعك وكيك في الثلاجة.

كان وصولهن بعد ساعة تمامًا، فها هي معيرة وأبهار وإجلال، بادلبها المصافحة والقبل الحارة، ثم جلسن في الصاله الكبرى، وكانت أيام قد ارتدت ثوبًا أبيض واسعًا طويلا فوق بنطلون رمادي، تدلى منه خلف الزر المفتوح للقميص عقد ذهبي يتوسط صدرها الأبيض، وقرط من الكريستال البراق، وقد سرحت شعرها الحريري، ولفته خلف مساج لامع باركة بعض خصلاته متدلية، فازدادت بذلك جمالا وروعة، وبياضًا باصعًا.

قدمت بعد ذلك لهن صحنًا واسعًا من الحلوى، ووضعته أمامهن على الطاولة، ثم جلست بعد ذلك مبتسمة سعيدة بهن، قالت إحداهن: كيف أنت يا أيام مع زوجك ؟

سكتت أيام دون أن تجيب، إلا أن إحداهن قالت: لا يا دكتورة، يا قدوة الاجيال، يا من يجرح على يديها عبيرات النساء، وبهلن من عذب علمها وأخلاقها، فما فائدة علمك وبهاداتك إن لم تطبقيه على الواقع.

معيرة: نعم يا أيام، العلم ليس بكبيرة البهادات وإنما بالعمل، فالاجيال لا تنتظر

منك محاضرات ودروس كلامية، وإنما تنتظر منك تجسيدًا عمليًا لعلمك على الواقع.

إجلال: أنت يا أيام في قلوب الناس جميعًا، فكوني في عقولهم ومداركهم، فامرأة مثلك بإنسانيتها لم يهزم الباطل خارجها فقط، وإنما هزمته في داخلها أيضًا، وتغلبت على يرددها، وعلت بهمها وتسامحها وسعة قلبها، فارتقت بذلك سلالم المجد، وعلت السحاب.

طأطأت أيام رأسها، فقالت أبهار: لا يا دكتورة، لست من تطأطئين رأسك أو تنكسرين، وأنت من يجبر الجواطر، فتتبهمين لمن تعرض لضعف إنساني، وزوجك تعرض لذلك، وأنت

من كنت السـبب وراء ذلك، فلم تلومينه أو تعاقبينه؟ كان الاجدر بك أن تكافئيه، فزوجك فعل ذلك دفاعًا عنك ومحبة لك، فبادليه الحب والوفاء.

معيرة: يا أيام، يا فجر كل امرأة، اطوي صفحة الماضي أيًا كانت سطورها، وخطي صفحة الحاضر بنور باصع يبهد على إنسانيتك، ويبرهن قوة إرادتك ورجاحة عقلك.

إجلال: يا أيام، أنت أولا وأخيرا امرأة ملزمة بطاعة زوجها وإرضائه؛ إرضاءً الله تعالى، فيكفيك منه رضا الله، تصالحي معه، ودعيه يرجع إلى البيت.

نظرت إليهن، ثم قالت: إنه هنا في البيت.

معيرة: أين هو؟

أيام: في الحديقة.

معيرة: هيا قومن إليه، واحملن له ما قدمته لنا.

مدت أبهار يدها لتأخذ لها من الصحن، لكنها رأت جميع ما قدمته على الصحن موزعاً على خمسة أفراد، لكل فرد صحن صغير، وبجانبه كوب عصير، فقالت: أصيلة يا أيام.

معيرة وهي تجلس مسرورة بذلك: أصبت بتسامحك وعفوك، وبرن أخطأنا؛ فقد طالبناك بالسماح، وكنت أغنى من يطلب منه ذلك.

أعطيها أبهار صحنًا من ذلك وكوب عصير قائلة: هيا قدمي له هذا.

ما هي إلا لحظات حتى قدمته أمامه وسط الحديقة حيثما كان جالسًا.

يهللت أساريره مؤيدها قائلًا: أنت قمر يا أيام في يمامه.

ثم همس لها في أذنها مداعبًا: (يجنني) يا أم فائق.

وضـعته دون أن تتفوه بكلمة، ثم توجهت نحو ضيوفها.

والعافون عن الناس

بعد أن ودعهن وهن يوصيها بروجها، جلست بعد ذلك على كنبة ثنائية، ففتحت التلفاز تقلب قنواته حتى استوقفها أنشودة (كن بلسمًا) لماهر زين، دبت الكلمات في شغاف نفسها؛ فهيجت مراجل آلامها وشوقها التائه، فإذا رأسه ينطرح على حجرها، حينئذ عاد وعيها المجدر، فمدت يدها تريد أن تبعد رأسه عنها بعد أن يمدد على الكنبة، فقال مندفعًا

راجيا : أسألك بالله العظم الذي وضع السماء

و الإرض ألا تبعديني عنك أو تباعديني.

في الحال ردت عليه راصجة لعظمة من سئلت به قائله: وأسألك بالله ألا تكررها.

ذهبت بها الذكريات مذهبها، فقد كانت إلى

زمن قريب يجلس هذه الجلسة وهو كذلك في حضنها، يمسح بكفها وجهه وشعره حتى ينام أحيانا.

فجأة اختطف كفها يتمسح به، ثم يقبله هامسا: أيام يا عمري الجميل.

أرادت سحب كفها إلا أنه تشبث بها قائلاً: أرجوك يا حبيبة قلبي أرجوك.

وبدون قصد نظرت إليه، فكانت النظرة سهماً زاد في أوجاعها.

وهو يرفع رأسه قليلا ينظر في عينيها قائلاً: أيام، تلك أيام طويلة أوجاعها، وسوف يري ميت ما يسرك، ويغمر نفسك بالسعادة، لن يحرمني الهناء بعد ذلك.

زادت طعنات الألم في داخلها لهولها، فأغمضت عينيها، ثم قالت: محال.

بم مالت بوجهها عنه، وهو يمسح وجهه بكفها قائلا: أيام، والله أنك سعاديتي، وما ذقيها يوماً وأنت بعيدة عني.

ابتسمت ابتسامة ساخرة، فقال: والله لم أدنها أو أقربها من نفسي-، ولم تكن في مكانك ميتي، يا أيام، أجيبيني ولو بكلمة واحدة، يا أيام، والله إنها كانت بعيدة عني كل البعد، يا أيام صمتك يقتلني.

هزت رأسها و الدموع تنساب على خديها قائلة: ما الذي يهمني في ذلك أقريبة كانت أم بعيدة؟

- لتصـــدقيني، والله ما فعلت فعلتي تلك إلا لاجلك، فلم يكن أمامي حل إلا ذلك.

ارتعد صـــدرها بالنشـــيج قائلة: أخبرني، لقد ظننت أنك بمفردك سـيرد عني إجرامهم، ويمنع أذاهم،

وما الذي فعلته؟ لقد ذبحت قلبي بفعلتك من الوريد إلى الوريد، وهم قتلوا أبي، أتظن أبي سأسامحهما.

- لكني لم أكن مجرماً، فلا تساوي بين الضحية والجلاد.

- هل قد سمعت بمجرم يعيرف بإجرامه؟

- يا أيام، لقد كنت مجبرا حبيبها؛ حبا لك، فإذا كنت قد أخطأت أو أسأت فسامحيني؟

رفع رأســـه أكبر بحوها باظرا في عينها: قلت لك يا أيام: وطوينا أوجاعها، ســـوف يرس مني ما يملا قلبك بالرضا عني، يا أيام لا تقفلي باب عفوك، والله يقول: والعافين عن الناس.

رأى الدموع المنســـابة من عينها، فمد أنامله يمسحها قائلا: أيام ألا تنسي؟!

أبعدت كفه، وجففت دمعها قائلة: محال يكون ذلك بسهوله، وقلبي مازال يستحضر أوجاعه، ويسترجع جروحه.

ـ بتوسل: أبام.

- يم وضع رأسه في حضنها، فتبعده قائلة: ابتعد عني.

رفع رأســـه قائلاً: إذن ســـأرحـل عنـك، وسـأهاجر، ولن يريني إلا يوم أن تكشـفي عن وجهك؛ لتلقي نظرتك الاخيرة علي.

ما أفظعها من جملة، وما أوجعها! فهي لم تنس مصيبها في عمها يم أخوها بعده.

ارتعد فؤادها، فقالت له: اسكت، ألا يكفيك ما فعلته حتى أنك ياتي على ما تبقى لتحرقه؟!

-فداكِ عمري بل ألف عمر لو كان لي، ولكن لي عمر واحد هو لك، سأحيا وأموت فداءٍ لك.

أذن المغرب، فعلق راسل وهو يلوح لها بكفه رافعًا إصبعه قائلا: الله أكبر، أسمعت؟ زاحم هتاف داخلي هتافَ الحق الذي يدل على صدقي، فكيف تعرضين عني؟!

صمتت قليلاً، ثم قالت: إذن قم لتصلي.

الوقت ليلا

دخلت ليالى على أيام في غرفيها، فوجديها على سررها الوثير ممددة، ورأس ابيها بإم في صـــدرها، جلســـت على مقعد قائله: أم أريح تسلم عليك.

أيام: الله يسلمها، وشعرت بإم تضاعف بسرعة في ذراعها الايمن.

رأت ليالى تغير وجه أيام فقالت: ما بك يا أيام؟

- لا بيتء، أبعدي عني فائق قليلاً، أريد أن أسيرجي أكير.

اقتربت ليالى نحوها، فأبعدته عنها، إلا أن الألم أشتد أكثر حتى أنها تمسك اليد الموجوعة باليد الاخرى، رأيها ليالى فقالت: أنت تتألمين.

ـ نعم ذراعى تؤلمنى كثيرا.

- جلست بجانبها تمسك يدها قائلة: الذراع المصاب بالرصاصة؟

- نعم.

- والعمل؟

فى الأثناء دخل علمهما راسل.

وبعد قليل من الوقت كانت الطبيبة أمام أيام، وبعد المعاينة قالت الطبيبة: لا يجافي شيئًا يا دكتورة أيام، فهي مجرد آلام بسبب المجهود الزائد على غير عادتك من بعد العملية، سأعطيك إبرة مهدئة ومرهمًا تدلكين به ذراعك.

بعد خروج الطبيبة قال راسل لليالي: يا ليالي، اذهبي، فأبا من سيدلك لها ذراعها.

فقالت ليالي: إذن سأحمل فائق من السرير.

فقالت أيام: لا لا يا ليالي، دعيه ينام بجانبي، فالسرير واسع.

طربت نفسه لذلك، فأيقن أنها قبلت تدليكه ونومه معهما.

صديق طالت غيبته

في صحى اليوم التالي زارت باهد أيام، فكانت مفاجأة غير متوقعة، فتعانق الطرفان عناقاً أخوياً صادقاً حاراً، وتبادلا قبلاً كثيرة، وكانت كل واحدة تفرغ للأخرى ما بها، وتوصف لها شوقها وحنينها، بعد ذلك أجلسها قائلة: ظننت أني لن أراك.

- اعذريني، ومرض أمي منعني من العودة حتى أني يئست من رجوعي إلى الوطن مرة أخرى، ويئست من رؤيتك أيضاً.

- والله إني أســأل عنك دائمًا، وما فترت عن ذلك.

- أعرف ذلك، ومن لا يعرفك هو من يجهلك، أنت الصــديقة الوفية التي يســأل عنها قلبي دائمًا وإن طالت غيبته عني.

رسالة الظرف

دخل راسـل الغرفة فجأة فاتجه نحو الدولاب، سحب الحقيبة من فوقه وأبرلها، فوقع بيتء لم ينتبه له، كان ذلك هو الظرف الذي أخفاه عن أنظار يوم وجده تحت الباب.

بعد ســـاعة كانت أيام في الجامعة مشـــغوله باجتماع مع إدارة الجامعة، نظرت في تلفونها في أثناء رجوعها إلى لبيت فإذا بعشرـــ مكالمات لم ترد علمها، فقلقت لذلك.

دخلت البيت فوجدت حقيبتس كبيرتس في الصـــاله الكبرى، وفي الحال خرجت إلمها أم أريج من المطبخ قائله: أس أنت يا دكتورة؟ منذ الصـــباح وأبا أتصـــل بك، يريد أبو فائق أن يسافر.

- أس هو الان؟

في غرفة المكتب، والســـفر ســـيكون بعد ساعتس من الان.

وضعت أمامها ما بي يدها على أحد الكنبات، ثم أخذت الحقيبتين وتوجهت بهما إلى الغرفة.

دخلت بهما الغرفة، وضعت أثقالها، ثم أدخلت الحقيبتين أسفل الدولاب، لكن عينها وقعت على ظرف، أخذته فإذا به معنون: (إلى راسل).

أخرجت الورقة فكان مكتوب فيها: لو أردت حفظ روحها، -وأنت بلا شك وفي لها كما علمنا- فأبعدها عنا، وما قلناه هنا ليس طلبًا وإنما أمر يجب عليك أخذه بعين الجد، وإن لم تكن معها ذلك الزوج الوفي الذي يحفظ روحها، فكن ذلك الزوج القوي الذي يأمرها فتطيع،

هذه مهمتك، وذكاؤك في إقناعها أو منعها، اكسر ذاتها أو اكسر ساقها، فذلك خير لها وأهون من أن نقطع خبرها من الدنيا كلها، ونذكرك أيضًا أن استرداد مالك مرهون بتنفيذ أمرنا، وسنرى أن وفاءها وطاعتها لك وهيبتك وقوتك هي من ستسبق أم أن عزرائيل سيكون سابقًا.

قرأت الرسالة مرات كثيرة، ثم هزت رأسها، فذهب بها فكرها إلى ما كانت تجهله وسمعت عنه من عمها برجس وغيرها، من ذلك قول عمها برجس: "ما خانك إلا وفاءٍ لك، ما خاب الرهان، وما خسرت، وراسل ما خانك إلا وفاءٍ لأجلك، يا أيام التي أحببتها صغيرة

وتعلقت بها كبيرة"، ثم تذكرت أقوالا في الموضوع نفسه، تذكرت بعد ذلك بعضاً من مواقفه المتناقضة معها، وحبه الذي غاب فجأة دون أن يحجبه عمام ظاهر للعيان.

دخلت عليه غرفة المكتب، فوجدته على أحد المقعدين اللذين أمام المكتب، فجلست على المقعد الاخر، رأت أوراق تصاريح السفر، مدت يدها لتأخذها، ونظرت إليه، فصمت، ولم يتكلم، تشاغلت بقراءتها حتى مرت دقائق من الصمت، بعد ذلك كانه أبهى ما بين يديه، ثم مد يديه قائلاً: يا أيام هات الاوراق.

لم يجبه ولم يرفع رأسها.

ردد ما قاله، فرفعت رأسها، ونظرت إليه، وأطالت النظرة حتى تحولت إلى نظرات عاتبة، فقال: يا أيام، لو سمحت.

لم يجبه، فاستمرت يرميه بنظراتها التي سرعان ما أغرقها بالدموع، رأى ذلك مبها، لكن إصراره على السفر منعه أن ينطق بشيء سوى: لو سمحت أريد الأوراق.

مد يده أكثر ليأخذها مبها إلا أنها منعته باكية: يا راسل، لن تسافر.

- هز رأسه إصرارا: لا، بل سأسافر.

- قاطعته بحدة: لن تسافر.

سـالت دموعها أكير على خديها، وبتوسـل عاتب: يا راسل لن تسافر وتتركني وحيدة.

لم يحتمل توسـلها، وغزارة دموعها، فجارت قواه الرافضـة، وانتظر برهة كي يسـتوعب ذلك، فاقترب منها قائلاً: أيام ...، ومد يده إليها ليضمها لكنها ارتمت عليه باكية: راسل.

- وهو يضمها: أيام، يا حلم عمري، سامحيني.

تصحيح الاستاذ عمرو عبد الباقي الحمادي

من بين وعورة المسار وعثرات الطريق وعشرات العلامات والصعاب والآلام التي أنهكت جسدي وتركت به علامات كالوشم فلن ينثني عزمي أو تخور قواي متسلحة بإرادتي .. عهداً سأكمل الطريق الذي بدأته وإن ادمت الصخور والحفر والأشواك قدماي ومحت خطاي سأفيض بحبري وأرسم سطوري فوق السحاب يرفس البارود ودخان الأرض الذي خلفه شرار الخلق الغير اسوياء وسأجعله في الأفق يعانق طيور السلام. !

حياتي...!